

﴿ الجزء السادس ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

﴿ الاسكندرية — يناير (كانون ثاني) سنة ١٩٠٢ — شوال ١٣١٩ ﴾

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

الفيلسوف باكون والشاعر شكسبير

﴿ اشهر فلاسفة الانكليز · واشعر شعرائهم ﴾

(وهل كان الاول مؤلف روايات الثاني)

مشاهير الناس آلهة للناس في هذه الحياة · ولكنهم آلهة لا تُعبد في اكثر الاحيان الا بعد ان تلقى المات · فمثلهم مثل تلك الجبال الشامخة كالمقطم وجبل لبنان · فانك اذا كنت قريباً منها او مقيماً فوقها ظهرت لك صغيرة منخفضة ولا تظهر لك شامخة كبيرة الا اذا بعدت عنها

ومن اشهر هؤلاء المشاهير الذين رفعتهم الانسانية بعد موتهم الى اعلي عليين الفيلسوف باكون اشهر فلاسفة الانكليز والمؤلف شكسبير اشعر شعرائهم · وقد جمع هذين الاسمين في صدر باب المشاهير فصل نشرناه في الجزء السابق عنوانه « شكسبير الحقيقي في مصر » ومناظرات طويلة عريضة دارت عنهما في الجرائد الانكليزية في الشهر الماضي حتى لم تخلُ منها جريدة من جرائدهم · ويسرنا ان نغتنم هذه الفرصة لترجمة هذين الرجاين

لما في ترجمتها من الفوائد الفلسفية والادبية لا سيا اذا صيغت بقالب بسيط سهل يحل اعقد عقد الفلسفة ويجلو غوامضها فيجعلها سهلة المنال لعقول الشيوخ والاطفال كما قال صاحب الزبور عن اصول الحكمة

ونبدأ اولاً بترجمة باكون لان للفلسفة حق التقدم

فرنسيس باكون

﴿ ترجمة باكون ﴾ هو الفيلسوف الشهير فرنسيس باكون بارون دي فاردلام وفيكونت دي سان البانس واحد وزراء المملكة الانكليزية . ولد في لندن من نقولا باكون المحامي المشهور في ٢٢ يناير من عام ١٥٦١ ولما بلغ السنة الثالثة عشرة من عمره دخل كلية كمبريدج حيث تلقى العلم ثلاث سنوات ثم الحق بالسفارة الانكليزية لدى البلاط الفرنسوي فزار باريز وباقي المدن الفرنسوية الكبرى واخذ يجمع شذرات عن حالة اوربا في ذلك الزمان . وفي عام ١٥٧٩ توفي ابوه فعاد الى لندن وكان المال الذي ورثه منه لا يقوم بحاجاته للنفقات الكثيرة التي كان ينفقها تاييداً لمركزه فعمد الى درس الحقوق فنجح فيها نجاحاً سريعاً فعين في عام ١٥٨٧ مستشاراً خاصاً للملكة اليصابات . وكان عصر هذه الملكة في انكلترا شبيهاً بعصر لويس الرابع عشر في فرنسا من حيث النهضة العلمية والادبية . وكفى عصر اليصابات فخراً ان يكون قد نبغ فيه رجلان كباكون وشكسبير

ولكن باكون راى انه لا يكسب من وظيفته لدى الملكة كسباً يسد نفقاته الطائلة فرام احتراف المحاماة وطلب وظيفة تمكنه من الكسب فلم يُجب الى طلبه ولكن جاءه الكونت ديسه ووهبه املاكاً ذات دخل كافٍ فرضي باكون وسكت . ولكن لماذا وهبه الكونت هذه الاملاك وهل ان الملكة هي التي اوعزت اليه بان يهبه اياها . الله اعلم

وفي عام ١٥٩٢ اختارته مقاطعة ميدلسه نائباً عنها في البرلمان فكان هذا الزمن اشد الازمان عليه لان باكون كان فيه اشده اضطراباً . فانه تارة كان يتملق الشعب وطوراً يتملق الوزارة وآونه يبعث بقصائد المدح الى الملكة اليصابات تزلفاً وتمليقاً . وفضلاً عن ذلك فانه اضطر ان يكتب يومئذ عريضة ببيان التهم التي وُجهت الى الكونت ديسه الذي احسن اليه . وبعد ذلك اشتدت الحاجة به حتى صدر الامر بالقبض عليه وسجنه مرتين من اجل ديون عليه . ولم يسترح من هذه المصائب حتى ارتقى جاك الاول الى العرش . وبعضهم يزعم ان الملكة اليصابات كانت تقصد اضطهاده لتتخلص منه بناء على اسباب

سنذكرها في ما يلي

ولما ملك جاك الاول قرب باكون اليه ووهبه ما كان قد طلبه فاحترف باكون المحاماة وكسب منهـا اموالاً طائلة ثم تزوج بفتاة ذات غنى واسع وتراكمت الرتب على راسه فجعل في عام ١٦١٧ وزيرًا للعدلية ثم جُعل في رتبة بارون وفيكونت . وسبب هذه النعم كلها نشره في اثناء ذلك كتباً في الادب والفلسفة وجهت اليه انظار الناس في جميع اقطار العالم وجعلته في اعلى ذرى المجد العلمي

ولكن هذا الفيلسوف الذي هدم اساس الفلسفة القديمة بقوة عقله ووضع بـه اساساً حديثاً للادب والفلسفة كان عاجزًا عن تدبير نفسه وحفظ قواعد الادب والفلسفة . فانه لما عين وزيرًا للعدلية جعل يبيع بعض الوظائف بيعـاً بالثمن لحاجته الى المال الكثير بناءً على اسرافه . وكان يقبض كثيرًا من الاموال من اصحاب الدعاوي والقضايا ليسرع في انجاز قضاياهم . وجاءه يوماً صديقه وحاميه بكنكهـام يساله وظائف لصنائعه والمقربين اليه فاضطر الى اجابته مكرهاً ولم يقدر على رفض طلبه . فبناءً على ذلك اخذ المظلومون يصرخون ويشكون ورفعوا شكواهم الى مجلس العموم فامر المجلس باجراء تحقيق في هذه التهم فثبت بعضها على باكون فصدر الامر بمحاكمته لدى مجلس اللوردات . اما بكنكهام والملك فانهما خشيا عاقبة الامر لتداخلهما فيه فاوعزا الى باكون ان يتوارى فرارًا من المحاكمة . ولكن باكون رفض الفرار وقال انه يستسلم الى عدالة المجلس فحاكمه مجلس اللوردات في ٣ مايو من عام ١٦٢١ وحكم عليه بغرامة قدرها ٤٠ الف جنيه وبتجريده من كل وظائفه وقضى عليه بانه غير اهل لان ينوب في البرلمان بعد تلك الحادثة ولا ان يولى منصباً عمومياً وبان لا يقيم في مدينة يقيم البلاط الملكي فيها وبسجنه في سجن لندن . فسجن باكون ولكن الملك لم يطل مدة سجنه بل عفا عنه واعاده الى لندن ولما ارتقى الملك شارل الاول الى العرش اعاد الى باكون شرفه وارجعه في عام ١٦٢٥ الى البرلمان . غير ان باكون لم يضع هذه السنوات التي صرفها بلا عمل لانه انصرف في اثنائهـا الى مراجعـة كتبه الفلسفية واتمامها . وهذه الكتب اساس مجده ودعامة فخره ولولاها لما كان شيئـاً مذكورًا . وقد توفي باكون بعد مرور سنة على عودته الى البرلمان اي في ٩ ابريل من عام ١٦٢٦

ولا يسعنا بعد ما تقدم من فساد تدبير باكون وسوء تصرفه الا ان نلقي هذا السؤال على القارئ : ايّ اوجب للاستغراب ؟ انزال فيلسوف عظيم كباكون نفسه في هذه المنزلة من اخذ الرشوة وافساد الاحكام ام قيام طبقة عالية من نفس الامة الانكليزية سورًا كثيفاً دون

البلاط ومقربيه حتى ان الملك نفسه يخافها و يداريها لمعرفته بانها تحمي شرف الدولة وتمنع حدوث الشر فيها · لا ريب ان هذه الطبقة طبقة النبلاء هي التي حفظت انكلترا الى اليوم ورفعت شانها في اقطار الارض · واذا اسقطت الديموقراطية في انكلترا هذه الطبقة العالية في هذا القرن او الذي يليه ولم تضع مكانها ديموقراطية حقيقية لا « سطحية » كالديموقراطيات التي في اوربا اليوم فان انكلترا تسقط يومئذ عن قمة مجدها سقوطاً حقيقياً

***

﴿ آراؤه الفلسفية التي احيت الفلسفة ﴾ اما فلسفة باكون فقد تضاربت الاقوال فيها · ففريق الفلاسفة الماديين يعتبرونه هو وديكارت (١) زعيمين للفلسفة الحديثة وواضعين لاصولها و ينزلون باكون في اسمى منزلة بين فلاسفة العالم · وفريق الفلاسفة الالهيين ولا سيما الكاثوليك لا يرونه شيئاً مذكوراً ولا يجدون في فلسفته كما يقولون الا غموضاً · وقد طعن عليه زعيمهم جوزيف دي ماستر الفرنسوي طعناً شديداً · اما الفلاسفة الانكليز وعلماؤهم فلا يعرفون لهم زعيماً و رئيساً غير باكون مهما قيل فيه

والسبب الذي جعل اخصام باكون يجترئون عليه ان هذا الفيلسوف لم يضع فلسفة جديدة ولم يكتشف امراً جديداً ولكنه اقتصر على وضع قواعد فلسفية جديدة تنقض القواعد القديمة · فكانه اقتصر على الهدم دون البناء ولبيان ذلك نقول

ميزان ارسطو — كانت الفلسفة قبل باكون وديكارت مبنية على الفلسفة اليونانية التي وضعها ارسطو وهي المعروفة بالفلسفة المدرسية (سكولاستيك) (٢) · وكان يكفي ان

---

(١) ﴿ ترجمة ديكارت شريك باكون في الفضل على الفلسفة ﴾ راجع ما كتبناه عن ديكارت في باب التربية والتعليم في الجزء ٢١ من السنة الثانية · وسناتي على ترجمته بالتفصيل في جزء قادم لانه شريك باكون في الفضل على الفلسفة ومحاربة المذهب المدرسي · وقد عاصر باكون وحمل مثله حملات شديدة على هذا المذهب دون ان يكون بينهما صلة او معرفة · ولا ريب ان تاريخ هذين الرجلين انما هو تاريخ اساس الفلسفة وشرف للدولتين « فرنسا وانكلترا » اللتين نبغا فيهما

(٢) ﴿ السكولاستيك ﴾ السكولاستيك ماخوذة من « السكولا » وهي المدرسة والمراد بها الفلسفة التي كان يدرسها اليونان واللاهوتيون في المدارس وواضعها الفيلسوف ارسطو اليوناني

يقال « قال اريسطو » لينحسم كل جدال . فكانت العقول خاملة لا تتصرف بشيء ولا تجترىء ان تُحدث شيئاً حذراً من الخروج عن القواعد المقررة . وكان راس هذه القواعد «القياس» وهو المعروف « بآلة اريسطو » او ميزانه لان الحقائق لا تُدرك بدونه . مثال ذلك اذا اخذت النار ووضعت فيها ماء فان الماء يتبخر . فكرر هذه التجربة عدة مرات فاذا تبخر الماء في كل مرة وجب ان تجزم بان التبخر ناموس من نواميس الطبيعة . ثم انك تقيس اللبن على الماء فتقول : بما ان اللبن سائل كالماء فهو يتبخر ايضاً مثله . وبناء عليه تكون قد عرفت طبيعة اللبن من قياسه على الماء . هذا هو القياس

فلما جاء باكون وجد ان هذه القواعد متضعضعة فاخذ على نفسه اصلاحها . فكتب في ذلك عدة كتب منها كتابه « الاصلاح العظيم » وهو اهم كتبه ولم يصدر منه سوى جزئين وذلك في عام ١٥٩٧ وكتابه « كتاب في الادب » وغيره من المؤلفات الفلسفية . واليك خلاصة الآراء التي نشرها في كتبه

رايه في التمدن اليوناني وفلسفته — يحمل باكون في كتبه على الفلسفة السكولاستيك اليونانية حملات شديدة . ومن اعتراضاته ان كل ما يدرّسونه اليوم (اي في ايام باكون) يدرّسونه بناء على اقوال اليونان ولا سيما اريسطو مع ان اليونان لم يعرفوا شيئاً من نواميس الطبيعة ولم يقرأوا شيئاً في كتابها السامي . فكيف يريد الفلاسفة تقييد العقل البشري بمعارف اليونان اذا كان هولاء لم يدرسوا الطبيعة نفسها . وفضلاً عن ذلك فان اليونان امة قديمة وقد كان البشر في عصرهم في دور الطفولية ونحن الآن في دور الشيخوخة . فلمن نسمع ؟ وممن نتعلم ؟ من الاطفال ام من الشيوخ . فالواجب علينا اذاً ان نُطلق العقول من قيود فلسفة اليونان ونترك كل واحد منا يمتحن الامور بنفسه ويشاهد نواميس الطبيعة بعينيه ويزن احكامها بعقله . ومع ذلك فان الفلسفة اليونانيه لم تُثمر شيئاً الى الآن ولم نحصل بواسطتها على فوائد ومنافع عملية . وكل ما استفدناه منها انها تعلمنا طرقاً سفسطائية في الجدل تجعلنا لا نطلب الحقيقة في مباحثنا ولكن حب الفوز والغلبة . فيجب تغيير هذه القاعدة التي جعلها العلم دعامته ووضع دعامة عملية جديدة له ليثمر ثماراً عملية . وقد جرب اليسوعيون واستبدلوا دعامة اريسطو بدعامة جديدة فنجحوا في تعليمهم . فليجرب العلم ذلك ايضاً . فانه لا بد ان ينجح

ولكن قبل هدم القاعدة القديمة يجب انشاء « ترتيب » جديد للعلم اصولاً وفروعاً لوضع

اصول كل فرع منه على الترتيب · وبناء على ذلك وضع باكون « الترتيب » المنسوب اليه وعليه يعتمد العلماء

الترتيب المشهور بترتيب باكون — قسم باكون قوى نفس الانسان في هذا الترتيب الى ثلاثة اقسام « الذاكرة · والتصور · والعقل » وجعل اصول العلم وفروعه تتفرع من هذه الكلمات الثلاث · فمن « الذاكرة » يشتق التاريخ ومن " التصور " يشتق الشعر · ومن " العقل " تشتق الفلسفة

ثم ان باكون ياخذ « التاريخ · والشعر · والعقل » كلاً بمفرده ويفرع منه فروعه · فالتاريخ طبيعي وبشري · والطبيعي يشمل درس الطبيعة ما فوق وما تحت من علم الهيئة (علم الفلك) والجيولوجيا والجوغرافيا الخ · والتاريخ البشري يشمل التاريخ الديني والتاريخ الاجتماعي (غير الديني) وتاريخ الادب والفنون — واما الشعر فانه يكتفي بقسمته الى ثلاثة اقسام وهي : الشعر للوصف · والشعر للروايات · والشعر للامثال — واما الفلسفة فهي ثلاثة فنون · فن معرفة الله · وفن معرفة الطبيعة · وفن معرفة نواميس الانسان · ثم يفرع باكون من كل واحد من هذه الفروع فروعاً عديدة يضيق المقام دونها · ولو اتينا عليها كلها لوجد القارئ انه لا يبقى اصل للعلم ولا فرع خارج هذه الدائرة

ميزان باكون ضد ميزان ارسطو — فبعد وضع باكون هذا الترتيب للعلم وشرحه كل اصوله وفروعه شرحاً كافياً وافياً وجه همته الى وضع قاعدة لبنائه · فقال بوجوب ترك قواعد اليونان وارسطو والاعتماد على العقل في ذلك البناء · وكانت قاعدة ارسطو تقضي كما تقدم الكلام بان كل امر يُجرب عدة مرات ويفضي الى نتيجة واحدة يجب ان يُعدّ ناموساً طبيعياً · وقد ذكرنا مثال ذلك في تجربة تبخير الماء وقياس اللبن عليه · اما باكون فانه قال ان التجربة عدة مرات لا تكفي بل يجب معها امران · اولاً اعادة التجربة والامتحان الى ما شاء الله حتى لا تبقى زيادة لمستزيد واستئناف التجربة في كل جزء من اجزاء المادة ومطاردة الاسرار الطبيعية الى ابعد مكامنها · وثانياً عدم الاكتفاء بالامتحان الايجابي بل اجراء امتحان سلبي معه · مثال ذلك بخر الماء بالنار يتبخر فاعد التجربة عدة مرات تجده يتبخر دائماً · هذا هو الامتحان الايجابي · اما الامتحان السلبي فهو ان تاخذ بخار ذلك الماء وتبرده فاذا عاد ماء كان العمل صحيحاً وجاز لك ان تعدّ التبخر ناموساً طبيعياً · — واليك مثلاً آخر وهو اضرب ٢ في ٢ فان

الحاصل ٨ ولكن اياك ان تعتقد ان الحاصل هو ٨ قبل اجراء الامتحان السلبي اي قسمة هذا العدد على ٢ ثم قسمة الخارج على ٢ ايضاً . وهلم جراً . ولا يخفى ان ذلك يهدم قياس ارسطو من اساسه لانه يوجب عليك في المثل الذي تقدم عن الماء واللبن ان تاخذ اللبن وتفحصه بنفسك فحصاً ايجابياً وسلبياً عدة مرات بدلاً من قياسه على الماء وان لا تعتمد الا على مشاهدتك وامتحانك . ويُعرف هذا الامتحان بامتحان باكون وقد اطلق به واضعه عقول العلماء والفلاسفة من قيود الماضي واعدَّ للعلم ميداناً فسيحاً قرن فيه المعرفة بالعمل فنشأت عنه الاكتشافات والاختراعات التي عرفتها في عالم العلم والصناعة والزراعة . فكانه روح الحرية بُث في العقل والعلم فاحياهما معاً

باكون وحجر الفلاسفة — ويعتقد باكون اعتقاداً غريباً . فانه يرى كما تشهد بذلك عدة سطور من كتبه ان غرض العلم والفلسفة البحث عن حجر الفلاسفة اي المادة التي تحول المعادن الى ذهب . وهو لا يذهب هذا المذهب طلباً للذهب ولكن استناداً الى درسه المادة . فانه راى من درسه المادة الطبيعية ان اصلها واحد وان المادة التي صُنعت منها الحصى شبيهة بالمادة التي رُكب منها الذهب . ولذلك يقول انّنا متى حصلنا على المادة المشتركة بين جميع المواد (وهي ما يسمونه حجر الفلاسفة) فاننا نحقق حينئذ ان اصل المادة واحد ونقدر بسهولة على تحويل اي معدن كان الى ذهب

وقد ذكرنا في ترجمة (برتلو) في الجزء الماضي ان ذلك العالم قد اثبت وحدة المادة في الارض محققاً راي باكون وغيره وانه يعتقد بان تحويل المعادن ذهباً امر ممكن في مستقبل الكيمياء

***

﴿ اعتقاد باكون بالله وبالنفس ﴾ هذا ما رأينا اثباته عن اكبر فلاسفة الانكليز فرنسيس باكون . ومنه يرى القارئ انه لم يكتشف امراً جديداً عظيماً ولكنه هدم عالماً قديماً . وسبب شهرته الواسعة انه قام في زمن كانت فلاسفته مستعدة لخلع نير ارسطو وكان اعلاهم صوتاً واقدرهم على ترجمة ما في نفوسهم فنجح النجاح الذي مرَّ ذكره

بقي علينا ان نذكر معتقد هذا الفيلسوف . فنقول انه كان يؤمن بالخالق سبحانه وله في ذلك كلمته المشهورة

« القليل من العلم يُبعد الانسان عن الله والكثير منه يقربه اليه »

يعني بذلك ان من درس نواميس الطبيعة ونظام الكائنات درساً صحيحاً لا يسعه الا ان يعجب بذلك الترتيب البديع الكائن في كل شيء حتى في ذرات الرمل ونقط الماء واوراق النبات وحينئذ يسلّم بالطبع من غير بحث ولا سؤال بوجود صانع حكيم ويقول مع فنلون وفولتير عن تشبيه الارض ونظام كائناتها بساعة وجدت دائرة في رمل الصحراء :
« هل يمكن وجود هذه الساعة من غير ساعاتي »

وكان باكون يعتقد بوجود النفس ايضاً و يقول ان من قواها علم الغيب اي معرفة الحوادث قبل حدوثها والتاثير على نفس اخرى اذا تسلطت عليها كما يحدث في التنويم المغنطيسي
هذا ما نقوله عن باكون فلننتقل الآن الى شكسبير

وليم شكسبير

﴿ تمهيد في فن الروايات ﴾ اشتقت الروايات من اصل ديني اي انها وضعت حين نشأتها لغرض ديني . فان الفرس والاشوريين واليونان كانوا يمثلون بها قصص آلهتهم . ولكن لما قامت النهضة اليونانية في الادب والفلسفة والشعر خرجت الروايات من الحيز الديني الى الحيز الاجتماعي فنبغ في هذا الفن كثيرون من اليونان (١) اخصهم . اشيل الذي يلقبونه ابا التراجيدية اليونانية وقد اخذ عنه موليير و راسين و كورنيل وغيرهم من الروائيين . وقد ارتقى هذا الفن عند الرومانيين ايضاً ومن مؤلفيهم بلوت وترانس الشاعران الهزليان الشهيران (٢)

---

(١) كفى لبيان تاثير التمثيل عند الاقدمين ان نقول ان اسكندر المكدوني لما سمع ان بيكسودوروس ملك كاريا سيزوج ابنته من « اريده » ابن فيليبوس ابيه خاف ان تقوى سلطة اريده بهذا الزواج فيزاحمه على الملك فبعث الى بيكسودوروس بالممثل المشهور تسالوس ليمثل لديه رواية يظهر فيها فضل اسكندر على « اريده » وقد مثل الممثل هذه الرواية واستمال بها بيكسودوروس الى اسكندر

(٢) لما اراد لافونتين الشاعر الفرنسوي المشهور تابين صديقه موليير اشهر مؤلفي الروايات الفرنسوية الهزلية نظم ستة ابيات ونقشها على قبره وخلاصتها « هذا القبر يضم بلوت وترانس ومع ذلك فليس فيه سوى رجل واحد »

اما النهضة الاوربية في هذا الفن فهي حديثة العهد · وقد كان شانها في ذلك شان النهضة الروائية اليونانية والرومانية اي انها كانت في بدء امرها عبارة عن تمثيل ديني · وذلك ان رجال الدين المسيحي كانوا يمثلون الاعياد المسيحية التي يعيّدونها اليوم تمثيلاً · وكان هذا التمثيل على نوعين · نوع محزن ونوع مضحك · ومن النوع المحزن تمثيل رواية صلب السيد المسيح في جمعة الآلام بما فيه من المحاكمة امام بيلاطس وصعود السيد الى الجلجلة ووقوف النساء يبكين لصلبه · ومن النوع المضحك تمثيل العادات والتقاليد الدينية كحادثة اليهودي التائه وحادثة برباس ونطق اتان بلعام · ومما يُستغرب ذكره انهم كانوا اذا راموا تمثيل حادثة الاتان جاءوا بحمارة حقيقية الى مكان الاحتفال اي الى المعبد وجعلوا يعالجونها لتصرخ · وكانوا ينشدونها قصيدة منها

غني يا جلالة الحمارة يا ايها الفم الجميل غني فنقدم لكِ كفاية من التبن وقدر ما تطلبين من الشعير

وكان بعضهم ينشد هذا النشيد والشعب يجاوب عليه بفرح وابتهاج بلازمةٍ ملازمة ولما اعتاد الشعب هذا التمثيل الفه فتالفت منه جمعيات للقيام به في ايام الآحاد والاعياد في خارج المعابد · فكان الشعب يقبل على حضور هذا التمثيل ويشترك فيه · وكانت الروايات مكتوبة بشعر عامي · وقد روي ان احدهم كان يمثل الصلب فصلب نفسه بالفعل لاتمام الشبه وكاد يلقى حتفه لو لم يتداركه رفاقه · ولما تمادى الشعب الفرنسوي في هذا التمثيل اصدر البرلمان في ١٧ نوفمبر من عام ١٥٤٨ قراراً بمنع تلك الجمعيات من التمثيل الديني واباحة ما سواه · ومنذ هذا الحين دخل التمثيل في دور جديد وانتقل من الحيز الديني الى الحيز الاجتماعي · ونشأ من الكتاب والشعراء شكسبير وكوث وشيلر وراسين وكورنيل وموليير وفولتير وفيكتور هيغو ودوماس الكبير والصغير وهين وغيرهم فابلغوا بمؤلفاتهم هذا الفن الى المقام السامي الذي صار اليه في اوربا في هذه الايام

وقد قابل الامبراطور غليوم في هذا الشهر الممثل الفرنسوي الشهير كوكلين الكبير فقال له انه من انصار الروايات وكتابها لانه يعرف ما لهم من الفضل والتاثير على آداب الامة وعلى اخلاقها · وكفى ذلك شهادة بفائدة فن التمثيل اذا اجاد مؤلفوه وممثلوه وكان غرضهم نشر الآداب والسرور معاً في المراسح لا اثارة عواطف العامة والحاضرين بمناظر واقوال تشبه فقاقيع الصابون بسرعة زوال تاثيرها

ولا ريب ان في ترجمة شكسبير من هذا الوجه عبرة وفائدة لجميع محبي هذا الفن الجميل

***

﴿ ترجمة شكسبير ﴾ ولد وليم شكسبير من اب تاجر في قرية سترتفورد (القائمة على ايفون) في ٢٢ افريل من عام ١٥٦٤ . وكان له اخوة ثلاثة فدخل معهم في احدى المدارس المجانية وتلقى فيها شيئاً من اللغة اللاتينية . ولكن لم تاتِ عليه السنة الثالثة عشرة حتى اخرجه ابوه من المدرسة لاختلال اشغاله التجارية واستخدمه في احد البيوت التجارية . ومن ذلك يظهر ان شكسبير لم يتلقن في المدارس شيئاً من الدروس العليا التي ظهرت ثمارها في رواياته بعد ذلك

ولما بلغ شكسبير السنة الثامنة عشرة اقترن بفتاة عمرها ٢٦ عاماً وتُدعى مس حنه هاتاواي وقيل انها كانت عشيقته وبعد انقضاء ستة اشهر على زواجها ولدت له هذه الزوجة ابنة وبعد ثلاث سنوات ولدت له توأمين فدعاهما همنت وجوديت . ولكن الاولاد جاؤه بالضيق الى البيت لانه لم يكن يكسب من خدمته شيئاً يُذكر ففر من سترتفورد في عام ١٥٨٣ وعمره ٢١ عاماً . ولما صار بعيداً عن اهله رام الصيد والقنص في الاحراش التي حرم الصيد فيها فطلبه الخفراء للقبض عليه ففر من وجههم وسار مشياً الى لندن حيث انخرط في سلك الممثلين فيها

وبعد ان صرف شكسبير مدة في التمثيل جمع جوقاً وتولى ادارته . اما الروايات التي كان يمثلها فكان بعضها من الروايات القديمة يتصرف بها جرياً مع ذوق العصر وبعضها من تاليفه . ويقال ان اول رواية ظهرت من قلمه كان ظهورها في عام ١٥٩١ اي بعد انقضاء ٨ سنوات على فراره من وطنه . وقد قال شراح هذه الرواية ان شكسبير اظهر فيها من المعرفة بعادات الطبقات الاجتماعية يومئذ والتلميح الى بعض الحوادث العصرية اللندنية ما وجه الانظار اليه ودلَّ على عظيم استعداده . نقول فهل كانت تلك السنوات الثماني التي صرفها في لندن كافية لجعل ذلك الفتى الطائش الذي لم يتلقن علماً في مدرسة — في ذلك المقام من المعرفة والاستعداد

ومنذ هذا الحين بدأت شمس شهرة شكسبير تطلع في سماء الادب فصار له اصدقاء في البلاط ورغبت الملكة اليصابات في حضور احدى رواياته فمثل في البلاط احداها في ليلة عيد الميلاد من عام ١٥٩٧ فاعجب الملكة هذا الجوق ووعدته بحمايتها فازدادت بذلك شهرته انتشاراً

وكان المال يرد عليه مع الشهرة الكثيرة مكاسبه من رواياته . فعاد شكسبير

الى وطنه ستراتفورد فوجد احوال عائلته في اختلال تام فتلافى تلك الحالة وزاد على ذلك ان ابتاع احسن قصر في المدينة (سنة ١٥٩٧) . ثم اخذ يبتاع كثيرًا من الاراضي و يؤجرها للفلاحين من ابناء وطنه فضلاً عما كان يقرضهم اياه من الاموال تحسينًا لاحوالهم . ولكنه مع مساعدتهم على هذا الوجه كان شديد الوطأة عليهم فيما يختص باستيفاء امواله وكثير التفنن في طرق كسب المال . ولذلك يتخذ فلاسفة العمران شكسبير مثلاً حينما يرومون بيان المزايا التي خُصت بها الامة الانكليزية من حيث المعرفة بطرق الكسب والتزام هذه الطرق : فانهم يقولون ان اسمى رجالهم فكرًا لا يُهملون الامور المادية و يطلبون الكسب من كل وجوهه المشروعة . اما الفرنسويون فانهم يغارون من هذا القول لانهم مشهورون بعدم اعتدادهم بالمال وتفضيلهم الشرف والمجد عليه ولذلك يذكرون شاعرهم فيكتور هيغو كلما ذكر الانكليز شكسبير لان فيكتور هيغو كان شبيهًا بشكسبير من حيث الجمع بين سمو الفكر والمعرفة بطرق الكسب

وفي عام ١٦٠٣ توفيت الملكة اليصابات التي كانت حامية لصاحب الترجمة فلم يخسر صاحب الترجمة شيئًا بوفاتها لان الملك شارل الاول شمله بعنايته وحمايته . فابرز يومئذ شكسبير افضل رواياته وهي « كما تريد » و « همْلت » و « اوتلو » و « مكبث » « والملك لير » فبلغ بها شكسبير ما لم يبلغه في انكلترا شاعر ولا مؤلف لا قبله ولا بعده . ولكن بعد هذه الروايات الجميلة خمد فكر المؤلف او فرغت جعبته فصار يكتب فصولاً منقطعة . وفي عام ١٦١١ احس بحاجته الي الراحة فعاد الى وطنه ستراتفورد فازوج ابنتيه سوسان وجوديت وانصرف الى ادانة الاموال وشراء الاراضي حتى ادركته الوفاة في ٢٣ افريل او ٣ مايو من عام ١٦١٦ وعمره ٥٢ عامًا فقط فدفن في كنيسة ستراتفورد . ويقال ان وفاته كانت بسبب السكر وهو حديث خرافة على الاصح

اما عائلة شكسبير فقد انقرضت بعده اذ مات كل اولاده واحفاده دون ان يتركوا عقبًا . ولكن من ترك مؤلفات كمؤلفاته فان اسمه لا ينقرض ما دام الانسان انسانًا

***

﴿ مؤلفات شكسبير ومواضيعها ﴾ وهذه المؤلفات كثيرة يضيق المقام دون ذكرها بالتفصيل فنكتفي بالاختصار . فنقول انها ظهرت بين عام ١٥٩١ وعام ١٦١١ اي بين السابعة والعشرين من عمره والسابعة والاربعين . فيكون شكسبير قد اشتغل بعد سن الاربعين سبع سنوات فقط . ولا يخفى ان سن الاربعين هي السن التي تنضج بها مواهب الانسان

وتبلغ فيها قوى نفسه اشدها فيظهر حينئذ بما خلقه الله من القوة

وكانت اول رواياته رواية « شقاء ضائع في الحب » مثلها في عام ١٥٩١ وهي التي اشرنا اليها آنفاً وموضوعها غرامي هزلي انتقادي ٠ وتلتها رواية « كريم فيلونه » في سنة ١٥٩١ ايضاً وقد اخذ موضوعها من رواية هزلية قديمة ٠ وكذلك رواية « الخطاء » ٠ اما رواياته المحزنة (التراجيدية) فقد كانت اولاها رواية « روميو وجوليت » وقد مثلها في عام ١٥٩٢ بعد رواية « الخطاء » فكان لها تاثير عظيم ولا سيما على السيدات لما حوته من العواطف الرقيقة التي يتبادلها الحبيبان روميو وجولييت ٠ وفي عام ١٥٩٢ ايضاً وضع روايته التاريخية « هنري السادس » ثم تلتها في عام ١٥٩٣ رواية « ريشار الثالث » التي وردت فيها العبارة المشهورة المذكورة بالتفصيل في روايات « نهضة الاسد » وهي : « عليّ بجواد عليّ بجواد فانني اهب مملكتي لمن يعطيني جواداً » وفي عام ١٥٩٤ ابرز روايته « طيطس اندرونيكوس » و بعضهم يرى ان هذه الرواية لم تكن من قلمه ٠ وفي عام ١٥٩٤ كتب رواية « تاجر البندقية » ومدارها على رجل اسرائيلي يقرض الاموال ٠ ثم كتب رواية « الملك حنا » في عام ١٥٩٤ ورواية « لوكريس » وكلتا الروايتين نتيجة دخول المبادئ اليونانية الى انكلترا في تلك الايام ٠ وفي عام ١٥٩١ و١٥٩٤ مثل « الشذرات او المقاطيع » وهي رواية ودادية اظهر فيها فضل الصداقة على الحب ٠ ومما قاله فيها عن لسان صديق يوبخ صديقه لانه خطف عشيقته قوله

« خذ كل حب لي ايها الصديق ٠ نعم خذه كله ٠ وقل لي الآن ماذا زاد على ما كان عندك ٠ اعلم ان كل حب لي وكل خير لي ليس لي فيه شيء لانه لك من قبل ان تاخذه ٠ وانا اصفح لك عن سرقتك ايها اللص اللطيف وان كنت قد سلبتني كل ما ملكت يداي »

ومما يجب ذكره هنا ان شكسبير كان يشير بهذا الكلام على ما يظهر الى اللورد سوتنتون او اللورد بمبروك لانهما فعلا تلك الفعلة اما المرأة ذات العينين الدعجاوين التي ورد ذكرها في هذه الرواية فلم يُعرف لها خبر

وفي عام ١٥٩٥ ابرز روايته الجميلة « حلم في احدى ليالي الصيف » فكانت خير ذيل « لمقاطيعه » التي تقدم ذكرها ٠ واليك ما قاله في هذه الرواية البديعة في وصف الحب

« ولما راى كوبيدون (١) الملكة العذراء تناول سهماً ورشقها به . اما انا فتبعت السهم بنظري فوجدته قد طاش وانطفأ في نور القمر الطاهر الذي كان يحف بها . ولذلك نجت العذراء المكللة من الحب واتمت سيرها وهي تفتكر افكاراً طاهرة . غير انني بحثت عن المكان الذي وقع السهم فيه فوجدت انه وقع على زهرة صغيرة من ازهار الغرب كانت بيضاء اللون كاللبن فجعلها السهم حمراء من شدة الطعنة . وتسمي العذارى هذه الزهرة — زهرة لا تنسني »

وفي عام ١٥٩٥ برزت روايته « كل ما حسنت خاتمته فهو حسن » وفيها قصة امراة باسلة تكره الاستسلام الى حوادث الحياة وتنشىء لنفسها مركزاً باجتهادها ونشاطها . وفي العام التالي (١٥٩٦) مثّل رواية من احسن رواياته وفيها اظهر انه يكره اعطاء المراة حقوق الرجال ومن قوله عن لسان النساء « لماذا نرى اجسامنا ضعيفة واعضاءنا واهنة لا تحتمل متاعب الحياة واضطرابات العالم . الجواب لان اجسامنا واعضاءنا يجب ان تكون على اتفاق تام مع عاداتنا وحالة نفوسنا الداخلية »

وفي عام ١٥٩٧ ابرز شكسبير رواية « هنري الرابع » وفي عام ١٥٩٧ رواية « هاذيات وندسور » وفيها طبيب فرنسوي يتكلم باللغة الانكليزية كلاماً مشوهاً مضحكاً وكاهن فرنسوي يقول اقوالاً مضحكة . وفي عام ١٥٩٩ وضع « هنري الخامس » ومنذ هذا الحين بدأت احاسن رواياته

فوضع اولاً رواية « عناء كبير بشيء صغير » ومدارها على رجل آلى على نفسه ان يكره النساء وامراة لا تطيق رؤية الرجال ولكن الرواية تجعلها بطرق مضحكة يحبان بعضهما بعضاً في النهاية حباً شديداً . وبعد هذه الرواية ظهرت روايته « الليلة الحادية عشرة » وذلك في عام ١٦٠٠ ومدارها على امراة تتزيا بزي رجل وتخدم حبيبها وتحميه وتسهر عليه على غير علم منه . وهي بذلك تمثل الحب الخفي السكوت الذي يكمن في النفس كمون النار في حجارة الزناد

وفي عام ١٦٠١ برزت رواية « يوليوس قيصر » واهم ما فيها وصف اخلاق بروتوس قاتله وصفاً بديعاً . وفي عام ١٦٠٢ مثل « هملت » اشهر رواياته وهي رواية فلسفية تسمو عن مدارك

---

(١) كوبيدون في الميثولوجيا اليونانية اله الحب وهو فتى يحمل نبالاً مشتعلة فاذا رشق الحسناء باحدها اصابها الهوى في الحال

الشعب ومع ذلك فقد طرب الشعب الانكليزي لها اشد طرب واختارها على ما يُقال على جميع رواياته . ومدار هذه الرواية على فتى يكره الحياة لمصابه بامه التي قتلت اباه لتستبد بالملك بعده . ومن ينسى صراخه في وسط احزانه و ياسه وهو يستعدُّ الانتقام « لله ياملاذ الحياة كم تظهرين لي فارغة باردة » وهذه الحالة هي نتيجة استغراق الفكر والهم كل عواطف النفس وايباسها ايباساً

و بعد هملت كتب شكسبير « ترواوس وكريسيده » وذلك في عام ١٦٠٣ . وقد وصف في هذه الرواية حرب تروادة وجعل مدارها على حب فتى صادق في حبه . وفيها تقول احدى نسائها

« ليست السعادة واللذة الا في الطلب ومتى بلغ الطالب غرضه منا فكل شيء قد ذهب . فلتعلم ذلك الحبيبات فان التي لا تعلم ذلك لا تعلم شيئاً . ان الرجال يخضعون و يذلون لنا قبل استيلائهم علينا ولكنهم يصيرون اسياداً لنا بعد الاستيلاء » (١)

وفي عام ١٦٠٤ كتب شكسبير (قياس للقياس) ثم كتب في هذا العام ايضاً روايته (اوتلو) فابرز فيها كل قوى نفسه ولذلك قالوا انها ابلغ رواياته وان كانت «هملت» اشهرها . ومدار (اوتلو) على حب شديد يغار من نسمات الريح من جهة وعلى الخيانة من جهة اخرى . ولكن الحب لا يجيز لنفسه اقل شكوى ولا ضجر مع معرفته خيانة الحبيب له . وتلك غاية في الحب ما بعدها غاية

و بعد اوتلو برزت (مكبث) وذلك في عام ١٦٠٥ ومدارها على درس بسيكولوجي في تاثير الرذيلة والجناية في نفس مجبولة على الفضيلة . وفي عام ١٦٠٦ برزت روايته (الملك لير) وموضوعها مصائب وفظائع تصيب شعباً باسره وهي من افضل رواياته ايضاً . وبعدها ظهرت في عام ١٦٠٧ (تيمون الاثينوي) و (بريكليس) ولكنهما احط من الروايات الكبيرة التي تقدم ذكرها لا سيا وان شكسبير ارتكب فيهما كثيراً من الاغلاط فيما يختص بتاريخ اليونان لاقتباسه تفاصيله من الكتب الخرافية التي كانت تطبع يومئذ . وفي عام ١٦٠٨ مثل رواية (انطونيوس وكليو باتره) و (كور يولن) وفي عام ١٦١٠ (سمبيلين) وفي عام ١٦١١ (حكاية الشتاء) والرواية البديعة التي ختم بها موءلفاته وهي

---

(١) سلطة النساء في راي شكسبير

(الزوبعة) . كانه قصد جعلها مسك الختام

***

﴿ شهرة شكسبير في العالم ومناظروه ﴾ واذا كان في العالم كاتب يصدق فيه قول شاعرنا العربي

لا يعرف القوم الفتى الا اذا قضى فيعطى حقه تحت الثرى

فانما ذلك الكاتب هو وليم شكسبير صاحب الترجمة . فان مناظريه من الكتاب لم يعرفوا له فضلاً كبيرًا في حياته لانهم اخذوا عليه الابتداع في التاليف وترك الاتباع . ومما كانوا ياخذونه عليه عدم مراعاته وحدة السياق في رواياته وما دروا ان ذلك الاختلاف كان سرًا من اسرار نجاحها . وهكذا الناس في التاليف وسواه متى كانوا لا يحسنون الابتداع لضعف قواهم او لالفة اذواقهم للقديم البالي انقلبوا على المبتدع ونادوا بفضيلة الاتباع

ولكن شمس شكسبير لم يطل انحجابها بهذه السحب في انكلترا اكثر من قرنين . فانه ما اتى آخر القرن الثامن عشر حتى سكتت جميع اصوات المنتقدين ولم يبق غير المعجبين والمستحسنين و بذلك انتصر اسم شكسبير انتصارًا تامًا

اما اوربا فانها كانت اسرع من انكلترا في اعطاء شكسبير حقه . ففي عام ١٦١٤ اي قبل وفاته بسنتين انتشرت شهرته في المانيا وفي عام ١٧٦٧ وضعه لسنغ فوق كورنيل وراسين اللذين كانت اوربا تعجب بهما في ذلك الزمان وفي عام ١٧٦٢ ترجم ويلند كل رواياته واقتبس منها (كوث) المشهور في سنة ١٨٠١ رواية روميو وجولييت واخذ شيلر رواية مكبث وكتب هنري هين كتبه عن (ابطال روايات شكسبير) . اما فرنسا فقد كان فولتير اول مترجميه فيها (سنة ١٧٣١) وقد قال في الكلام الذي بسطه للجمهور الفرنسوي عنه (انه كورنيل لندن ولكنه مجنون كبير ومع ذلك فله اقوال بديعة في غاية السمو) . اما شاتو بريان فانه كان يقول انه لا (يذوقه) اي لا يستحسنه . ولكن لما جاءت مدام دي ستايل وقالت ما قالته عنه انتصر اسم شكسبير واقبل الجمهور الفرنسوي عليه . وقد اجمع الناس اليوم على ان شكسبير اعظم مؤلفي الروايات في العالم . والصفة التي يميزونه بها عن باقي المؤلفين ما ظهر منه من سعة الاطلاع في كل شؤون الحياة . فاذا مثل ملكاً مثلاً عرف ما يختلج في نفس الملك واذا مثل صعلوكاً عرف ما يناجي الصعلوك به نفسه . وقس على ذلك باقي حالات البشر من الحب والبغض والرذيلة والفضيلة والحلال والحرام والغنى والفقر

وكل ذلك مكتوب باسلوب يسحر الالباب · وبذلك كان لشكسبير تاثير عظيم على فن الروايات وعلى الحركة الادبية في جميع اقطار العالم لا في انكلترا فقط · وقد نُقلت بعض رواياته الى اللغة العربية

هل كان باكون كاتب روايات شكسبير

ولكن كأنه قُدر لشكسبير ان لا يكمل مجده ابدًا · فانه قام منذ مدة عدة من انصار باكون يزعمون ان الروايات التي تقدم ذكرها ليست من تاليف شكسبير وانما كان هذا ممثلاً لها فقط · واذا سالتهم فمن الف اذًا تلك الروايات البديعة فانهم يجيبون ان مؤلفها هو الفيلسوف باكون

وبناء على ذلك تالف في انكلترا حزبان عظيمان اكبر من حزبي المحافظين والاحرار الواحد منهما ينتصر لباكون والواحد ينتصر لشكسبير · ولكن انصار شكسبير اشد غضبًا وانكى سهامًا وافرغ صبرًا من رفاقهم الباكونيين لان هولاء هم المهاجمون

اما الادلة التي يتخذها الباكونيون لاثبات ان باكون هو الذي كتب روايات شكسبير فهي كثيرة منها اولاً ان شكسبير لم يتلقن في المدرسة دروسًا تجعله قادرًا على كتابة روايات فلسفية سامية كتلك الروايات بل كان من اصله رجلاً جاهلاً ولم يذكر التاريخ عنه شيئًا · ثانيًا ان في اكثر تلك الروايات تلميحًا واشارات الى حوادث الطبقات العالية في لندن ولا سيما حوادث حياة باكون التي مرَّ تفصيلها · وقد سالت الملكة اليصابات شكسبير غير مرة اذا كان احد يساعده في تلك الروايات · ثالثًا ان باكون كتب الى احد اصدقائه كتبًا خصوصية يقول له فيها انه يؤلف تلك الروايات ويدفعها الى شكسبير ليمثلها باسمه · — هذه بعض ادلة الباكونيين · واما الشكسبيريون فانهم يقولون لهم ان اقوالكم هذه مزاعم لا ادلة فهاتوا شهودكم ان كنتم صادقين

وبينما كان الفريقان في هذا الجدال واذا بصوت رنَّان من اميركا يقول « قد وجدت الدليل الذي لا يُرد على ان باكون هو الذي كتب روايات شكسبير »

فالتفت الجميع فابصروا مسز غالوب الاميركية قادمة من نيويورك الى لندن وبيدها مفتاح ذلك السر · وهذه السيدة تقول انها وجدته في كتب باكون واليك التفصيل

من المعلوم ان باكون هو الذي وضع اصول المخابرات الخفية بالارقام التي تستخدمها الدول في مخابراتها الرسمية · وكل من وقف على نسخ من الطبعة الاولى التي نُشرت من كتبه

في حياته وجد في بعض صفحاتها ارقاماً عديدة مختلطة اختلاطاً لم يظهر الغرض منه . فلما وقفت مسز غالوب على تلك الارقام قام في نفسها ان تستعمل الارقام السرية التي وضعها باكون في قراءة هذه الارقام المختلطة في كتبه الاولى . فجربت ذلك وعند اول تجربة صاحت كما صاح ارخميدس « وجدتها وجدتها »

ذلك ان مسز غالوب تقول انها استخرجت بواسطة مفتاح الارقام السرية من تلك الارقام المختلطة العبارة التالية

« ان امي الحقيقية هي الملكة اليصابات وانا وارث العرش الحقيقي . تعقب تاريخي »
« السري المنشور بالارقام في كتبي تجد فيه اسراراً عظيمة لو بحث باحدها لباتت »
« حياتي في خطر . التوقيع فرنسيس باكون »

فلما ظفرت مسز غالوب بهذا التفسير الغريب استانفت القراءة بالمفتاح السري الذي وجدته فاستخرجت من ارقام اخرى في مكان آخر العبارة التالية

« ان فرنسيس دي فرولام هو الذي الف كل الروايات التي نُشرت الى الآن باسماء »
« مارلو وغرين و بيل وشكسبير »

ولما نشرت مسز غالوب هذا الاكتشاف قامت له الجرائد الانكليزية وقعدت وانبرى الشكسبيريون يوسعون الباكونيين طعناً وتقريعاً حتى غصت الجرائد في هذا الشهر بمناظرات الفريقين . ولكن الطعن والتقريع لا يقومان مقام الدليل والبرهان ولذلك راى احد مراسلي جريدة التيمس امتحان اقوال مسز غالوب فاخذ الصفحات التي زعمت هذه السيدة انها اكتشفت فيها تلك الاقوال وصار يبحث في ارقامها بواسطة المفتاح السري الذي ذكرته و يضيق المقام عن بيانه . ولا يخفى ان ذلك عمل شاق لما فيه من جمع الارقام المختلفة الشكل فضلاً عما يستغرقه من الوقت . ولما فرغ هذا المراسل من عمله ظهر له انه ينقص الفقرة الاولى التي ذُكر فيها باكون ابناً لاليصابات مائة حرف ايطالي لتكون كلماتها منطبقة كل الانطباق على الكلمات التي ذكرتها مسز غالوب و ينقص الفقرة التالية التي ذُكر فيها ان باكون مؤلف روايات شكسبير ١١٩ حرفاً ايطالياً ليكون المعنى تاماً كما ذكرته هذه السيدة

فاستنتج كل واحد من الفريقين من هذا الامتحان نتيجة تؤيد رايه . فالشكسبيريون قالوا ان هذا الاكتشاف باطل لنقص الحروف والباكونيون قالوا ان هذا الاكتشاف صحيح لان باكون لم يكن يُطلب منه ان يذكر سره كاملاً فاذا ترك بعض حروف ناقصة فانما ذلك من خوفه ان يكتشف احدٌ هذا السر في حياته

وتايداً لهذا الزعم يقول الباكونيون ان باكون كان ابناً للملكة اليصابات من اللورد لسستر . فان هذا اللورد سُجن في برج لندن وكان يحب الملكة اليصابات فزارته زيارة سرية في سجنه وبعد تسعة شهور وضعت غلاماً والقته الى المحامي نقولا باكون الذي تقدمت الاشارة اليه بعد ان شملته بالنعم فتبناه نقولا باكون وسماه باسمه . ولما شبَّ هذا الغلام ظهر انه نابغة عصره فدارته الملكة في بدء الامر وسهرت عليه ولكنه لما درى بانه ابنها انقلبت عليه وصارت تروم التخلص منه لان وراء امره اموراً سرية اخرى نضرب صفحاً عن ذكرها . فكبر هذا الامر على فرنسيس باكون واخذ يكتب روايات يلمح فيها بحوادث حياته وحوادث البلاط ويدفعها الى ممثلي عصره كشكسبير وغيره . وكان قد ورث عظمة النفس من امه وابيه فطلب العلى من طريق العلم والفلسفة فنبغ فيهما وكتب كل الكتب المنسوبة اليه والى رجال النهضة الادبية الانكليزية في ذلك العصر كشكسبير ومار يو و بيل وغرين . فبناء عليه يكون فرنسيس باكون ملكاً وابن ملك من حيث النسب ومن حيث العقل والوارث الحقيقي للعرش الانكليزي . فليحذر جلالة الملك ادوار على عرشه من ورثة باكون وليطأطئ الفلاسفة والعلماء والادباء رؤوسهم امام ملك العلم والادب والشعر والفلسفة الذي اجتمع فيه هوميروس وافلاطون واليصابات وغرين وشكسبير

هذا ما يزعمه الباكونيون . ولا ريب ان باكون جدير بهذا الشرف العظيم ولكنهم لم يثبتوه له بحجة قاطعة لا تقبل الرد . بقي لتمام هذا البحث ان نقول ان كثيرين من اعاظم الانكليز وفي جملتهم بيرون و بالمرستن و بيكنسفيلد و بريت وكلريدج وايمرسن يعتقدون بان الروايات المنسوبة لشكسبير ليست من قلمه استناداً الى ان شكسبير كان اجهل من ان يؤلف مثلها . ولا تزال الحقيقة ضائعة بين الفريقين



المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما تهم مطالعته من المقالات الفلسفية والعلمية والادبية والتاريخية والعمرانية مما لا يدخل في باقي ابواب المجلة ويكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

تاريخ المسيح بقلم رنان

(تابع لما قبله)

السيد المسيح في الاسبوع الاخير · مبارك الآتي باسم الرب

وفي الواقع ان السيد المسيح رام العودة الى اورشليم قبل عيد الفصح · ولكنه عاد اليها مع تلامذته بنفس مضطربة لما كان يتوقع حدوثه فيها · وكان يُحدث تلامذته في الطريق عن نفسه بحزن ويقول لهم انه قد بلغ النهاية فساء التلامذة هذا الامر لانهم كانوا يتوقعون تحقق الملكوت الذي كانوا في انتظاره · اما السيد فانه كان يرى انه مستقبل الموت ولكنه كان يعتقد بان موته يخلص العالم ويحقق ذلك الملكوت · فكانه كان شيء من سوء الفهم بين السيد وبين تلامذته

وكانت العادة ان الذين يرومون الحجّ الى اورشليم يفدون عليها قبل عيد الفصح ببضعة ايام ليستعدوا للعيد · فلما اقترب الفصح ولم يأتِ السيد خشي الكهنة من ان يكون قد عدل عن القدوم فيفوتهم القبض عليه · ولكن لم يلبث ان سكن خاطرهم اذ دروا انه قد قرب من اورشليم او كان قد وصل الى بيت عنيا في ٢٨ مارس اي قبل عيد الفصح عند اليهود بستة ايام · وكان نزوله في بيت عنيا في بيت مرتا ومريم او بيت سمعان الابرص وقد احتفل بعودته احتفالاً عظيماً · وفي هذه الزيارة اقيمت للسيد مادبة في بيت سمعان الابرص ورغبة في زيادة اكرامه دخلت مريم في اثناء المادبة وفي يدها قارورة طيب ثمين فسكبت الطيب على قدمي السيد ثم كسرت القارورة جرياً على عادة شرقية قديمة توجب كسر الاناء الذي يستعمله ضيف كريم · ثم انها مبالغة في اظهار حبها واحترامها

للسيد اتت امرًا لم يسبق له مثيل قبل ذلك وهو انها جثت على الارض امامه ومسحت بشعرها الطيب الذي كان على قدميه · فانتشرت عند ذلك في المكان رائحة الطيب الذكية فانشرحت لها صدور الحاضرين الا صدر يهوذا الخريوطي · وذلك ان هذا التلميذ كان امينًا لصندوق الطائفة المسيحية الاولى وكان مشهورًا بالبخل والاقتصاد · فلما راى ذلك الطيب الثمين ضائعًا لم يتمالك ان يعنف مريم على هذا الاسراف بقوله انه كان يجب ان يُباع ويُعطى للفقراء اي ان يدخل في صندوق الجمعية · فلما سمع السيد هذه الملاحظة قال « ان الفقراء معكم في كل حين واما انا فلست معكم في كل حين » ثم وعد تلك المراة بخلود الاسم الى الابد

وفي اليوم التالي نزل السيد من بيت عنيا الى اورشليم · ولما صار في منعطف الطريق على قمة جبل الزيتون وراى اورشليم منبسطة تحت عينيه بكى عليها وخاطبها · ثم وصل الى حي بيت فاجي القائم تحت سفح الجبل قرب اورشليم · وكان هذا الحي من احياء المدينة المقدسه وفيه يقيم اكثر الكهنة · فاستقبله عند هذا الحي كل الجليليين الذين اتوا يحجون الى اورشليم وجاءوه باتان يتبعها جحش واركبوه عليها · ثم انهم فرشوا الطريق بملابسهم وباغصان الاشجار وحملوا سعوف النخل ودخلوا بالسيد الى المدينة يهتفون « اوصنا لابن داود · مبارك الآتي باسم الله » ولم يكتفِ بعضهم بذلك بل سماه ملك اليهود · فلما سمع الفريسيون ذلك قالوا له « يا ربي اي يا معلم مرهم ان يسكتوا » فاجابهم السيد اذا سكتوا فان الحجارة تهتف بدلاً منهم

وحين دخول السيد سال بعض الجموع من هذا فاجابوهم « انه يسوع نبي الناصرة في الجليل » · وكان عدد سكان اورشليم في ذلك الزمان ٥٠ الف نفس · والعادة ان حادثة كهذه الحادثة لا تترك بعدها اثرًا وقتًا طويلاً ولكن اورشليم لم تكن لسكانها في ايام الاعياد بل كانت للغرباء القادمين اليها · ولذلك ازدحم هولاء الغرباء وتحمسوا يرومون مشاهدة يسوع · وبعض من المتكلمين باللغة اليونانية لم يكتفوا بالمشاهدة بل خاطبوا التلامذة وطلبوا مقابلته · ولايدري احد بما تم بعد هذا الطلب

اما السيد فانه عاد في ذلك المساء الى قريته العزيزة « بيت عنيا » فبات ليله فيها · وفي الايام الثلاثة التالية اي الاثنين والثلثاء والاربعاء كان ينزل الى اورشليم في النهار وفي الليل يبيت في بيت عنيا او في احدى المزارع القائمة في غربي جبل الزيتون حيث كان له اعزاء كثيرون

وكان الفريسيون والكهنة قد ابتهجوا بعودته الى المدينة · اما يسوع فانه كان سكوتًا

مضطربًا . وقد اجمعت على ذلك الاناجيل الاربعة . وكان يقول احيانًا « نفسي حزينة حتى الموت . خلصني يا ابتاه من هذه الساعة » واحيانًا يصعد الى الجبل مع بعض تلامذته و يصلي فيه ووجهه لاصق بالثرى . فكل ما نقوله في هذا الامر هو ان العمل العظيم الذي اقدم السيد عليه ظهر له حينئذٍ بمظهر جديد وانتبهت فيه الطبيعة البشرية . فان من اوقف نفسه لفكر عظيم و بذل في سبيل هذا الفكر كل رخيص وغال حتى راحته وقواه وكل ما تملكه يداه لجدير بان يعود الى نفسه عند ظهور خيبة ذلك الفكر له ويتامل في مصيره . ولكن قوة السيد الالهية لم تلبث ان تغلبت على الطبيعة البشرية ودفعته الى الامام دون مبالاة بموت . ومنذ هذا الحين دخل السيد في دور جديد وصارت صورته عبارة عن صورة كاملة فيها تعزية وقوة لجميع النفوس الحزينة المعذبة في هذه الحياة . اما التلامذة فانهم كانوا لا يعلمون شيئًا مما قام في نفس سيدهم

واذا كانت عودة السيد الى اورشليم قد سرت الفريسيين واكابر اليهود فقد ساءهم ذلك الاحتفال العظيم الذي اقيم له حين دخوله الى المدينة . ولذلك انعقد مجلس رؤساء الكهنة في يوم الاربعاء عند يوسف قيافا وتقرر فيه القبض على السيد في الحال . و بما ان عيد الفصح كان واقعًا في يوم الجمعة والناس يزدحمون فيه ازدحامًا شديدًا فقدقرروا القبض عليه قبل العيد لئلا يحدث شغب في الشعب لان السيد كان محبوبًا اليه . فعينوا يوم الخميس لذلك . وفضلاً عن ذلك فانهم قرروا ايضًا القبض عليه وهو في احدى خلواته لا في داخل الهيكل فرارًا من الشغب ايضًا . ولذلك ذهب بعض من الكهنة ليجسوا تلامذته و يستعلموا منهم ما يريدون علمه فوجدوا ضالتهم لدى يهوذا الخريوطي . فان هذا التلميذ التعس خان سيده لاسباب لا تزال مجهولة . وكان هذا الرجل محسوبًا تلميذًا حتى ذلك الوقت وله الحق بلقب « رسول » وكان يصنع عجائب و يطرد شياطين . وكان امينًا لصندوق الطائفة المسيحية الاولى . فاذا سلَّم سيده وسيدها انفرط عقدها وخسر وظيفته ومكانته . فما الفائدة التي كانت له من هذا التسليم . امبلغ تافه من المال كثلاثين فضة . ذلك امر غير معقول والراجح انه كان بينه و بين التلامذة منافسات بسبب حبه للاقتصاد وتوفير المال للطائفة . و ربما كان في الملاحظة التي لاحظها السيد في بيت عنيا على يهوذا عن الطيب الذي سُكب على قدميه ما اسخط هذا الرجل وابعد قلبه عن سيده . ولكن هذا الرجل لا يستحق كل اللعنات الهائلة التي صُبت على راسه من جراء هذا التسليم لان قلبه لم يبتعد عن سيده الا ابتعادًا وقتيًا بدليل انه بعد ارتكابه الجرم ذهب وشنق نفسه . فرجل فاسد

السيرة والسريرة فساداً حقيقياً لا يندم هذا الندم على جرمه . وانما كان جرمه نتيجة فساد ساعة طرأ على نفسه ثم عاد ضميرها اليها

والآن قد وصلنا الى الساعة الهائلة التي كل دقيقة منها تُحسب بمثابة قرن في تاريخ الانسانية . وصلنا الى يوم الخميس ٢ ابريل وهو موعد القبض على السيد . وكان بدء عيد الفصح واقعاً في اليوم التالي وفيه يأكل اليهود حمل الفصح . ثم يستمر العيد ستة ايام يؤكل فيها الخبز المقدس . فتكون مدة العيد عندهم سبعة ايام واعظمها الاول والاخير اذ يقام فيهما احتفالات كبيرة ولذلك اخذ التلامذة يستعدون لليوم الاول من الفصح

اما يسوع فانه علم بخيانة يهوذا ووعده الفريسيين ان يسلمه اليهم . وفي ذلك المساء جلس السيد والتلامذة الى الطعام الاعتيادي لان الفصح لا يؤكل الا في اليوم التالي . وكان السيد في هذه الجلسة هادئاً لطيفاً ولاسيما مع يوحنا و بطرس انما كان في نفسه شيء من خيانة يهوذا . وكان يوحنا ممدداً على « الديوان » وراسه مسنود الى ركبة السيد . وفي نهاية الطعام ثقلت خيانة يهوذا في نفس السيد فقال « الحق اقول لكم ان احدكم سيخونني » فدهش التلامذة وبهتوا واخذوا ينظرون بعضهم الى بعض . وربما كان قصد السيد من ذلك ان يرى ماذا يكون لذلك الكلام من التاثير على وجه يهوذا . اما بطرس فان نفسه المستقيمة الكريمة اصبحت عند ذلك في عذاب شديد فاشار الى يوحنا الذي كان قريباً من السيد ان يساله عن معنى هذا الكلام . فساله يوحنا همساً فلم يصرح له السيد باسم احد من التلامذة لان خيانة يهوذا لم تكن قد ثبتت بعد وانما قال له ان الخائن هو الذي سيقدم له لقمة مغموسة بالمرق . وكانت العادة في الشرق ان رئيس المائدة اذا رام اكرام احد من الجالسين معه تناول شيئاً من الطعام وجعله لقمة ثم قدمه اليه . ففعل السيد ذلك وقدم اللقمة الى يهوذا فلم يدرِ بهذا السر غير بطرس و يوحنا . وبعد ذلك وبخ السيد يهوذا توبيخاً لم يفهم التلامذة معناه وخرج (١)

وفي هذه الجلسة غسل السيد ارجل تلامذته وقال لهم « انتم تدعونني معلماً وسيداً وحسناً تقولون لاني انا كذلك . ولكن ان كنت وانا السيد والمعلم قد غسلت ارجلكم فانتم

---

(١) « فغمس اللقمة واعطاها ليهوذا سمعان الاسخريوطي . ثم قال له يسوع « ما انت تعمله فاعمله باكثر سرعة » فظن السامعون ان يسوع قال له اشترِ ما نحتاج اليه للعيد او ان يعطي شيئاً للفقراء » يوحنا ص ١٣ ع ٢٦

يجب عليكم ان يغسل بعضكم ارجل بعض لانني اعطيتكم مثالاً » وفيها ايضاً قال لهم « وصية جديدة انا اعطيكم وهي ان تحبوا بعضكم بعضاً كما احببتكم انا . بهذا يعرف الجميع انكم تلاميذي » وهما وصيتان ساميتان لو عمل بهما البشر لزال كل شقاء وشر في العالم

وبناء على ذلك ترك هذا المساء في نفوس التلامذة اثراً شديداً للمبادىء السامية التي نشرها السيد فيها عليهم . ولما حدثهم عن قرب تسليمه الى القضاة والكتبة والفريسيين قال تلامذته انهم سيتبعونه فقال لهم بل انكم تتفرقون . فقال له بطرس بل اتبعك واضع نفسي مكانك فاجابه السيد انك تنكرني قبل صياح الديك . فحلف انه يتبعه ولا ينكره وحلف جميع التلامذة معه

القبض على السيد ومحاكمته

ولما خرج يسوع والتلامذة من مكان العشاء كان الليل قد ارخى ستائره فعبر يسوع وادي سدرون حسب العادة وذهب مع تلامذته الى بستان الجثمانية في سفح جبل الزيتون . ولما وصلوا الى البستان جلس يسوع يصلي ونام تلامذته بجانبه . وبينما هم في هذه الحال واذا بشرذمة من الجند قادمة على نور المشاعل . وكان هذا الجند من الجند اليهودي الذي يحرس الهيكل وسلاحه العصي وقد ترك الرومانيون لليهود امر استخدامه في اماكن العبادة . ولكن كان معهم ايضاً شرذمة اخرى من الجند الروماني المسلح بالسيوف . وكان في يدهم امر من زئيس الكهنة والمجمع بالقبض على يسوع . وكان يهوذا في صحبتهم وقد جاء يدلهم على المكان الذي يقيم فيه السيد في الليل . وقد بلغت منه الفظاعة والجنون انه جعل تقبيله يد السيد علامة بينه وبينهم ليعرفوه . ومما لا ريب فيه انه لما وصل الجنود حدث شيء من المقاومة بينهم وبين التلامذة وروى الانجيلي يوحنا ان بطرس استل سيفاً وضرب به احد خدام رئيس الكهنة فقطع اذنه . اما يسوع فانه ابطل هذه المقاومة في الحال وسلم نفسه الى الجند . فعاد الجند به واما التلامذة فانهم تفرقوا خوفاً من سلطة اليهود ولم يتبعه منهم احد سوى بطرس ويوحنا فانهما تبعاه من بعيد . وتبعه تلميذ آخر قال عنه مرقس هذه العبارة « وتبعه شاب لابساً ازاراً على عريه فامسكه الشبان فترك الازار وهرب منهم عريان » ولعل هذا التلميذ هو مرقس نفسه

اما التهمة التي وُجهت الى السيد وصدر الامر بمحاكمته من اجلها فهي تهمة « تضليل الشعب » وافساد عقيدته ومخالفة الديانة اليهودية . وكان الرؤساء اذا راموا محاكمة المتهم بتضليل

الشعب ومقاومة الشريعة اليهودية صنعوا في التحقيق صنعاً غريباً · فانهم ياتون بشاهدين ويخفونهما في مكان ثم يجيئون بالمتهم ويوقدون امامه شمعتين ليراه الشاهدان من مكمنهما فلا يبقى لديهما شبهة فيه · ثم يسالونه عما اتهم به فيجيب ويجهر بما في نفسه والشاهدان يسمعان · فيطلب منه الروساء حينئذ تغيير معتقده واذا اصرّ عليه اخذه الشاهدان الى المحكمة فتحكم برجمه بالحجارة · وقد جاء في التلمود ان رؤساء اليهود فعلوا هذه الفعلة ايضاً بالسيد المسيح وان الحكم الذي حُكم عليه لم يصدر الا بناء على شهادة شاهدين خفيين · غير ان الشريعة اليهودية لا تُجيز هذا الكمين الشنيع للمتهم الا في تهمة التضليل ومقاومة الشريعة دون سواها

ولما القي القبض على يسوع ذهب به الجند اولاً الى حنان الذي كان صاحب الكلمة العليا بين رؤساء اليهود كما تقدم لان قيافا الرئيس الحقيقي كان صهراً له · فسال حنان السيد عن تعاليمه وتعاليم تلامذته فقضت حينئذ عظمة النفس على السيد بترك الدفاع عن نفسه وانما ردّ حنان الى الذين سمعوا وعظه في الاجتماعات العمومية · فلما سمع احد الحاضرين هذا الجواب اعتبره اهانة لحنان فلطم السيد بيده على خده

وقد ذكرنا آنفاً ان بطرس ويوحنا كانا يتبعان السيد من بعيد · اما يوحنا فقد كان معروفاً في بيت حنان ولذلك استطاع الدخول اليه · واما بطرس فان حارسة الباب رامت منعه من الدخول فجاء يوحنا وسالها ان تاذن له بالدخول فاذنت · وكان البرد شديداً في ذلك الليل فذهب بطرس الى نار موقدة واخذ يصطلي على حرارتها في جملة المصطلين · ولما اخذ يتكلم عرف السامعون من لهجته انه جليلي اي من بلاد الجليل ومن تلامذة السيد فسالوه وانت ايضاً من تلامذته · فانكر بطرس ذلك ثلاث مرات وقال انه لا يعرف السيد ولا علاقة له به · ومما سهل له هذا الانكار ان يسوع لم يكن يسمعه · ولكن طبيعته الكريمة جعلته بعد حين يحس بالغلطة الكبيرة التي ارتكبها · فان الديك صاح في ذلك الحين فاذكر صياحه بطرس كلام يسوع · فثارت لذلك نفس بطرس واضطربت فخرج من المنزل وبكى بكاء مرّاً

وبعد دخول السيد منزل حنان ارسله حنان الى صهره قيافا رئيس الكهنة · وقد تقدم ان قيافا كان آلة صماء في يد حنان · وكان المجمع معقوداً في دار قيافا · فلما جيء بالسيد تقدم عدة شهود من شهود الخفية الذين تقدم ذكرهم وشهدوا بان يسوع قال « انه يهدم الهيكل ويبنيه في ثلاثة ايام » وكان التجديف على الهيكل في الشريعة اليهودية بمثابة التجديف على الله · فساله قيافا رئيس الكهنة اذا كان قد قال ذلك القول · فلزم السيد

السكوت بعظمة وانفة · ذلك انه كان عالماً بان الروساء قد قرروا الحكم عليه كيفما كانت الحال فلا يجدي الدفاع نفعاً · وكثيراً ما يكون السكوت في مثل هذا المقام ابلغ واسمى من الكلام

فلما سمع المجمع الشهود حكم باجماع الاصوات بثبوت ما اتهم به السيد من رغبته في ابطال الدين اليهودي والشريعة اليهودية · ومتى ثبتت هذه التهمة فجزاء صاحبها الاعدام لامحالة · وكان في رؤساء المجمع بضعة يميلون الى السيد فبعضهم غاب ولم يحضر الجلسة وبعضهم لم يعطِ صوتاً · وقد اصدر ذلك المجمع حكمه بطياشة وخفة لان الدماء كانت رخيصة في ذلك الزمان · ولم يكن المجمع عالماً بانه سيقدم حساباً عن ذلك الحكم الهائل للاجيال المستقبلة

ومتى اصدر المجمع حكماً كان تنفيذه منوطاً بالسطة الرومانية · ومع ذلك فقد حسب الناس السيد منذ تلك الساعة محكوماً عليه لاختلاط السلطات في اورشليم في ذلك العهد · ولذلك بقي تلك الليلة هدفاً لاعتداء جماعة من الاوباش اللئام الذين كانوا يبصقون في وجهه ويضربونه

وفي الصباح اجتمع روءساء الكهنة ثانية وتشاوروا في رفع قرار المجمع الى بنطس بيلاطس حاكم اورشليم من قبل الرومانيين لانفاذه في السيد · وكان شان اليهود مع الرومانيين في ذلك الزمن شان عرب الجزائر مع فرنسا اليوم او شان المدن الهندية المقدسة مع الاحتلال الانكليزي او شان دمشق الشام اذا احتلت سوريا احدى الدول الاوربية · ومقتضى ذلك ان الرومانيين كانوا يحترمون ديانة اليهود ويجارونهم في جميع احكامهم اتقاء للفتن الدينية · وقد زعم يوسيفوس انه اذا تخطى احد من الرومانيين في الهيكل المكان المحرم على الوثنيين ان يتخطوه اخذه الرومانيون انفسهم واسلموه الى اليهود لقتله · ولكن هذا القول لا يخلو من المبالغة

فبناء على ما تقدم امر الكهنة بشد وساق السيد وساقوه الى دار الحكومة التي هي قصر هيرودوس الكبير · وكان اليوم يوم جمعة (٣ ابريل) وفي مسائه باكل اليهود طعام الفصح · فاذا دخل اليهود في هذا اليوم الى دار الحكومة تنجسوا من مخالطة الوثنيين (اي الرومانيين) وحُرم عليهم اكل طعام الفصح في ذلك المساء · ولذلك لم يدخل اليهود حينئذ الى دار الحكومة بل اقاموا خارجاً · فلما سمع بيلاطس الحاكم الروماني بقدومهم صعد الى « البيما » وهي كلمة يونانية دخلت الى السريانية الكلدانية ومعناها « محكمة في الخلاء » · وكانت

قائمة في المكان المدعو «جباثا» اي البلاط لان الارض كانت مبلطة فيه · ولما استخبر بيلاطس الخبر وعلم بالتهمة والحكم استاء من ادخالهم اياه في مسالة كهذه المسالة · ثم دعا يسوع وخلا به في دار الحكومة · وهناك جرى بينهما حديث لم تُعرف بعد ذلك حقيقته لان يسوع لم يُحدث قبل صلبه تلامذته منذ هذه الساعة

ولم يكن بنطس بيلاطس (١) قد شاهد قبل ذلك احداً من الطائفة المسيحية · ذلك لان هذا الوالي كان مبغضاً لليهود ولم يكن يهتم باضطراباتهم ومنازعاتهم الداخلية · وكان اليهود يبغضونه كما يبغضهم لانهم كانوا يرونه قاسياً شرساً محتقراً لهم ولذلك اتهموه تهماً شنعاء كما روى فيلون · وكانوا يعتقدون ان ذلك الحاكم اليوناني ينوي ابطال الشريعة اليهودية وانه يعمل لذلك سرّاً · اما بيلاطس فانه كان يستاء اشد استياء من التعصب والبغض والاضطهاد وغيرها من النقائص التي كان يلجأ اليهود اليها لان نفسه الرومانية التي الفت الحكومة المدنية كانت مشربة حب العدل كنفوس اصغر الرومانيين واكبرهم · واول قدومه الى اورشليم كان كلما رام ادخال اصلاح في ولايته من انشاء الطرق واقامة المباني كان يلقى الشريعة اليهودية في وجهه تقاومه وتمنعه كسد لا يجتازه احد مهما كانت تلك الاعمال نافعة ضرورية · ذلك ان هذه الشريعة كانت تضغط على حياة الامة ضغطاً يحول دون اقل تحسين او تغيير · وكان احداث الامور النافعة معتبراً فيها بمثابة ادخال بدع جديدة

وكان لبيلاطس منزل في جوار الهيكل ففي ذات يوم خطر له ان يضع فوق باب منزله شعاراً يدل على ان المنزل منزل والي المدينة · فلما وضع هذا الشعار (وكان شبيهاً بالالواح المكتوبة التي توضع اليوم على منازل القناصل والادارات الكبرى) هاج اليهود وماجوا كما روى فيلون · فاصرّ بيلاطس على وضع الشعار فثار اليهود عليه لاجباره بانزاله ثم نشأت عن ذلك فتن جرت فيها الدماء · فهذه الحادثة وامثالها جعلت بيلاطس كثير التأني في معاملة ذلك الشعب الغريب · وكان يسوءه ان يكون آلة لانفاذ تلك القسوة الشنيعة من اجل شريعة يكرهها كما روى يوسيفوس · ذلك لعلمه ان التعصب الديني اذا

---

(١) بيلاطس كلمة لاتينية ماخوذة من «بيلوم» ومعناها «قوس الشرف» وهي وسام رفيع عند الرومانيين · وقد سمي بنطس «بيلاطس» نسبة الى هذه القوس التي نالها من الرومانيين هو او احد اجداده

جعل الحكومات الدينية تعمل اعمالاً جائرة فانه يعود و يلقي تبعة تلك الاعمال عليها وحدها.
وهو ظلم فاضح لان الجاني الحقيقي انما هو الذي اغرى بها وحرض عليها

و بناءً على ذلك فان بيلاطس رغب في انقاذ يسوع . ولا ريب ان هدوء السيد وثبات جاشه ولطف منظره قد اثرت في نفس الحاكم الروماني . وفضلاً عن ذلك فان زوجة بيلاطس كانت على ما يظهر قد اطلت في ذات يوم من شباك قصرها المشرف على ساحة الهيكل ولمحت منه السيد فراقها هدوُّه ولطفه وطهارته ولما سمعت بان اليهود سيقتلونه ثقل على نفسها هذا الامر الفظيع فجاءها في الحلم ان تكلم زوجها في شانه . ومهما يكن من هذا الامر فان الشيء الذي لا ريب فيه هو ان بيلاطس كان ذا ميل الى السيد حين دخوله عليه

وكان كهنة اليهود قد حكموا على السيد بالاعدام لانه قاوم تقاليدهم فلما دفعوه الى السلطة الرومانية لم يكتفوا بذكرهم مقاومته للدين اليهودي بل زادوا على ذلك انه سمي نفسه ملك اليهود . ومعلوم ان السيد لم يتلقب بذلك قط وانه كان يعترف بالسلطة الرومانية كما تقدم ويوجب دفع الجزية اليها . ولكن الاحزاب الاكليريكية التي تروم حفظ كيانها لا تُحجم عن الكذب والافتراء والنميمة لانفاذ اغراضها . ولذلك دفع كهنة اليهود السيد الى بيلاطس وهم يفترون عليه انه يزعم انه ملك اليهود ويحرم دفع الجزية الى قيصر . وقد روى الانجيلي يوحنا ان بيلاطس سال السيد : اصحيح ما يقوله الكهنة . اما السيد فانه وجد جواباً جامعاً . فانه اجاب انه ملك ولكن مملكته ليست من هذا العالم وان مقتضى ملكه الحصول على الحق والنداء به . اما بيلاطس فانه لم يفهم شيئاً كثيرًا من هذا الكلام لان الرومانيين في ذلك العصر كانوا لا يهتمون بالمسائل الفلسفية والدينية وكانوا يرون الانتصار للحقيقة وتكريس النفس لها امرًا خيالياً لا شان له . فكان البحث في مثل هذه الامور يلقي الضجر والملل في نفوسهم . وكانوا يومئذٍ لا يرون ما هو مخبوء في الخميرة المسيحية من الخطر للامبراطورية الرومانية ولذلك لم يرَ بيلاطس ضررًا في انقاذ السيد . وقد بقي الرومانيون حتى خراب اورشليم يعاملون اليهود هذه المعاملة اي عدم المداخلة في اضطراباتهم الداخلية

فخطر لبيلاطس خاطر ظن به حلاً لهذه المشكلة . فقد جرت عادة الرومانيين في اورشليم ان يطلقوا للشعب في كل فصح سجيناً اكراماً للعيد . وبما ان بيلاطس كان عالماً بان يسوع لم يُقبض عليه الا لحسد الكهنة له حسب انه يُرضي الشعب باطلاقه لهم في ذلك

العيد . فخرج بيلاطس من دار الحكومة الى البيما اي المحكمة في الخلاء واقترح على الشعب ان يطلق لهم في ذلك العيد « ملك اليهود » . وقد دعاه بيلاطس ملك اليهود ليظهر للشعب انه غير مهتم له . اما الكهنة فلما سمعوا ذلك خافوا عاقبة هذا الاقتراح فاندفعوا يغرون الشعب ويحرضونه على طلب برابا بدلاً من « ملك اليهود » . وكان برابا رجلاً مشهوراً عند الشعب وقد قبض عليه الرومانيون وسجنوه لاشتراكه في فتنة حدثت في المدينة مقرونة بسفك دماء . فلما سمع الشعب اقتراح بيلاطس وكان قد اثر فيه اغراء الكهنة صاح « لا نريد هذا ولكننا نريد برابا » فاضطر بيلاطس في ذلك اليوم ان يطلق برابا

ولكن المشكلة ازدادت بذلك تعقداً في عينيه . وخشي اذا بالغ في الرفق بالسيد ان يُتهم بمجاملة رجل يزعم نفسه ملك اليهود وهذا مما يلقي عليه في رومة شبهة سياسية عظيمة . ولا عجب ان يجول هذا الامر في فكر بيلاطس فان كل سلطة في العالم مضطرة الى مسالمة التعصب والمتعصبين . ولذلك ظن هذا الوالي انه يلزمه ان يصنع شيئاً . وبما انه كان يكره سفك الدماء ارضاء لاناس يكرهم فقد خطر له ان يجعل للمسالة شكلاً مضحكاً لعل ذلك يصرف حقد الحاقدين وغضبهم . فجاء بالسيد وامر بجلده . وكان الجلد في العادة مقدمة للصلب . وربما كان قد خطر لبيلاطس ان يوهم الكهنة بانه عزم على صلب السيد ارضاء لهم ثم يكتفي بالجلد دون الصلب حين رضائهم

وحينئذٍ حدث حادث فظيع تتفطر له المرائر وتدمي القلوب . فان بعضاً من الجنود جاءوا بثوب قرمزي فجعلوه على هامة السيد ثم وضعوا على راسه اكليلاً من شوك وجعلوا في يده قصبة واخذوه بعد ذلك الى منبر عالٍ منصوب امام الشعب . ثم صار الجنود يمرون امامه فيجثون لدى المنبر على سبيل التهكم ويلطمون السيد على خديه ويبصقون في وجهه ويضربونه بالقصبة وهم يقولون متهكمين « السلام يا ملك اليهود » وانه من الصعب ان يصدق الانسان ان الجنود الرومانية المشهورة بالرزانة وسكون الجاش تاتي عملاً سافلاً فظيعاً كهذا . ولكنه ثبت ان الجنود التي كانت لدى بيلاطس لم تكن الا من الجنود الاضافيه المساعدة التي يستعملها الرومانيون لحاجاتهم . ولو كانت تلك الجنود من افراد الرومانيين الحقيقيين لما نزلوا الي هذه الدرجة من الدناءة والسفالة

وقد ذكرنا ان بيلاطس امر بان يُفعل هذا الفعل في السيد اخماداً لحقد اليهود ورغبة في حل تلك المشكلة حلاً هزلياً بدلاً من حلها حلاً دموياً . ولكنه يظهر ان هذا لم يُرضهم قطعياً . فان دعاة الفتنة ازدادوا زئيراً ونعيراً وصاروا يصرخون « فليصلب

فليصلب » · وازداد الكهنة ايضاً شدة في طلب ذبح الحمَل الوديع فوجد بيلاطس انه لا يستطيع انقاذ السيد الا اذا جرد جنده وقمع به فتنة تلك الغوغاء · ومع ذلك فانه حاول تاجيل الامر لعل في الاطالة افادة · فدخل ثانية الى دار الولاية وسأل عن السيد من اي بلد هو ليحتج بذلك و يرسله الى والي بلده · وقد روي انه لما علم انه من الجليل ارسله الى انتيباس والي تلك البلاد وكان يومئذ في اورشليم وقد جاء للحج · اما السيد فانه لم يساعد بيلاطس في سعيه في انقاذه بل كان ملتزماً الرصانة والسكوت التزاماً ادهش بيلاطس · وفي اثناء ذلك اشتد صخب الشعب في الخارج وكثر صراخ الصارخين ضد اهمال بيلاطس · واخذ دعاة الفتنة يتهمون هذا الوالي الروماني بحماية عدو قيصر · و بذلك جعل اولئك اليهود انفسهم من اكثر الناس دعوة الى طاعة القيصر طباريوس مع انهم كانوا من الد اعداء حكمه · وكانوا يقولون « ليس لنا ملك الا قيصر وكل من يزعم انه ملك فهو ضد قيصر · فاذا كان الوالي يطلق هذا الرجل فهو لا يحب قيصر » فلم يستطع حينئذ بيلاطس الضعيف الراي ان يثبت على رايه بعد هذا الكلام · لانه علم منذ تلك الساعة ان اعداءه يغتنمون هذه الفرصة و يرسلون الى رومة تقارير سياسية ضده مآلها انه يدافع عن اعداء الامبراطور · وقد اختبر بيلاطس اليهود في مسالة الشعار التي تقدم ذكرها فوجد انهم خاطبوا رومه في شانها وتغلبوا عليه فيها · وكان هذا الوالي حريصاً على منصبه فلم يرَ بدّاً من الاذعان لليهود · ولكنه يقال انه القى عليهم تبعة ذلك الحادث حين تسليمه فاجابوه « فليقع دمه علينا وعلى اولادنا » ·

ومما لا ريب فيه ان ذلك الوالي الروماني لم يكن قادراً على ان يصنع شيئاً غير ما صنعه لان الرومانيين كانوا قد اتخذوا مسالمة اليهود خطة لهم اتقاء للفتن والثورات وما دروا ان هذه المسالمة ستكون باعثاً في تجريئهم عليهم وقيامهم الى الفتن والثورات · ولا عجب فان السلطات الدينية متى كانت لها سيادة او قوة على الحكومات المدنية فانها تدفعها الى سفك الدماء · وليس يصعب القول بان ملك اسبانيا الذي كان يُسلم الى النار مئات من رعيته بناء على اغراء الاكليروس لهو اعظم ذنباً من بيلاطس · لان سلطة هذا الوالي كانت في اورشليم ناقصة فكان عاجزاً عن انفاذها واما ملك اسبانيا فان البلاد بلاده وكانت سلطته كاملة فيها · ولكن قد يطرأ على الحكومات ضعف يجعلها تضطهد الناس من اجل الاكليروس · واذا كان في هذه الحكومات واحدة عارية عن هذه الوصمة فلترم بيلاطس بحجر · وليس الجاني في حال كهذه الحال اليد التي تضرب ولكن الارادة الاكليريكية التي تختبئ

وراءها • وليس لاحد ان يدعي انه يكره سفك الدماء اذا كان يحرض على اهراقها
فليس الذي قضى بقتل السيد اذاً هو طباريوس او بيلاطس وانما هو الحزب اليهودي
القديم اي الشريعة اليهودية نفسها • غير ان الافكار العصرية توجب عدم انتقال الذنوب
من الابناء الى الآباء لان كل انسان لا يُسأَل لدى عدالة الله والناس الا عن الاعمال
التي يكون قد عملها بنفسه • فبناء عليه لا يجب ان يحمل اليوم كل الاسرائيليين تبعة ذلك
العمل الفظيع • وهب ان اليهود يجب ان يحملوا اليوم هذه التبعة فمن ادرانا ان الذي نكلمه
منهم لو عاش في ذلك الزمان لما دخل بين الذين كانوا يصيحون حول دار الحكومة « اصلبه
اصلبه » • بل من ادرانا انه لا يكون سمعان القيرواني الذي حمل عن السيد صليبه •
ولكن مع اعتبارنا هذا الامر لا يسعنا الا ان نقول ان مسئولية الشعوب تختلف عن مسئولية
الافراد • واذا كان في العالم جناية تسمى « جناية امة » فهي هذه الجناية • لان السيد لم
يُصلب الا بقضاء من الشريعة اليهودية نفسها • وقد قال الكهنة ذلك لوالي الرومان قولاً
صريحاً • فانهم قالوا « لنا شريعة وهذه الشريعـة توجب موته لانه جعل نفسه ابن الله »
(يوحنا الاصحاح ١٩ العدد ٧) ذلك ان هذه الشريعة كانت توجب قتل كل من يحاول
تغيير الدين او مقاومته وهي شريعة كريهة واثر من آثار الوحشية الماضية • ولقد قُدر على
السيد الذي جاء لالغائها ان يموت بها

ولكن وا اسفاه كم من قرن ينبغي ان يمرّ قبل ان تثمر تلك الدماء الزكية الثمار التي
سُفكت من اجلها • ينبغي ان يمرّ ١٨ قرناً للوصول الى شيء من النتيجة • وفي اثناء هذه
القرون الطوال كم قد قُبض على الفلاسفة والعلماء باسم يسوع وعُذبوا ايضاً • حتى في هذا
العصر لا يزال في بعض البلاد التي تسمي نفسها بلاداً متمدنة عقوبات للذين يخالفون
التقاليد الدينية ويرتئون آراء مخالفة لآراء غيرهم • وليتهم يعلمون ان السيد ما جاء الى
الارض ليعلّم الناس ان يجعلوه « مولوخاً » (١) يحبّ رائحة الدماء واللحم البشري ولكن
ليعلمهم المحبة والعدل والاخاء والسلام والصفح والاعتدال • ولقد وقعت الديانة المسيحية
في التعصب في بعض الازمان ولكن وقوعها فيه كان امراً طارئاً ثم زال لان التعصب
والديانة المسيحية الحقيقية نقيضان لا يجتمعان • وانما التعصب ثمرة يهودية بدليل ان
الشريعة اليهودية كانت اول شريعـة في العالم وضعت اساس العصمة والحقيقة المطلقـة

(١) اله الكنعانيين والفينيقيين او هو الاله بعل نفسه

وقضت بلا بحث ولا محاكمة برجم كل من يخالفها ولو ايد قوله بصنع العجائب . ولا ريب ان الشعوب الوثنية كانت على شيء كثير من التعصب ولكن تعصبها لم يبلغ حد تعصب اليهود بدليل انها لو كانت متعصبة الى ذلك الحد لما كانت اعتنقت الديانة المسيحية . فالديانة اليهودية كانت عبارة عن قواعد راسخة كالجبال لا يجب ان يزعزعها شيء او يُعترض عليها بشيء وفوقها سيف لحمايتها . فلو ان الديانة المسيحية بدلاً من مطاردة اليهود و بغضها اياهم بغضاً اعمى الغت تلك القواعد والمبادىء التي ضُحي بها صاحب شريعتها لكان عملها هذا اكثر انطباقاً على اصل نشأتها وكانت اعظم فضلاً على الانسانية

صلب السيد المسيح

وقد تقدم الكلام ان كهنة اليهود لم يسلموا السيد الى بيلاطس الا بتهمة سياسية مقتضاها انه يقاوم قيصر والامبراطورية الرومانية . ولو كانوا سلموه اليه بحجة دينية لما كان ذلك الوالي الذي كان لا يؤمن بشيء يجاريهم على هواهم . ولذلك جعل الكهنة يحرضون الشعب على طلب صلب السيد لان الصلب جزاء الجرائم السياسية . اما الجرائم الدينية فقد كان جزاؤها عند اليهود الرجم بالحجارة ثم الشنق بعد الرجم في اكثر الاحيان . ولعل ذلك سبب ما جاء في التلمود من ان اليهود رجموا السيد اولاً ثم شنقوه . وهو خطأ لان السيد لم يُرجم ولكن صُلب صلباً

وقد روى تاسيت ان الجنود الرومانية كانت تقوم في ذلك الزمن مقام الجلادين في اعدام المتهمين السياسيين . فدُفع السيد اذاً الى شرذمة من الجند يقودها قائد مائة . وحينئذ بدأوا بالعمل الهائل الفظيع الذي عزموا عليه . ارتجفي ايتها الارض وارتعدي ايتها السماء فان الصالح الذي لا عيب فيه قد دُفع للصلب كاحد المجرمين

وكان الوقت منتصف النهار . وكان في السجن لصان حُكم عليهما بالصلب . فالبس السيد ثيابه التي كانت قد نُزعت عنه من قبل حين عرضه على المنبر امام الشعب ثم سيق الى مكان الاعدام مع الاثنين اللذين تقدم ذكرهما

وهكذا يُعلق الابن الصالح الذي ارسلته العناية الالهية ليخلص البشر و ينقذ الارض من الغباوة وفظاعة الوثنية — في وسط اللصوص الذين يعبثون في الارض و يُفسدون

وكان مكان الاعدام يُدعى « الجلجثة » وهو كائن في الجانب الشمالي او الشمال الغربي خارج المدينة قريباً من سورها . ومعنى « الجلجثة » « الجمجمة » وربما سمي ذلك

المكان كذلك لكونه اكمة شبيهة بجمجمة الانسان

وكان يجب على المحكوم عليه بالصلب ان يحمل بنفسه صليبه . ولكن جسد السيد كان ضعيفاً لا يقدر على ثقل الصليب . وكان محرماً على الجنود الرومانية ان تحمل صليب المحكوم عليه لان ذلك يحط من شانها . فاتفق انه مرَّ حينئذ رجل يُدعى سمعان القيرواني فجعله الجنود يحمل صليب السيد . ولم يكن بجانب السيد في هذه الساعة احد من التلامذة

ولما وصلوا الى مكان الاعدام قدموا اولاً الى الثلاثة خمرًا شديدة الفعل . ذلك انهم كانوا يقدمون هذه الخمر الى جميع المحكوم عليهم قبل انفاذ الحكم وذلك كما روى التلمود لتخدير حواسهم على سبيل الرفق بهم لئلا يشعروا بعذاب شديد . وقد روى التلمود ايضاً ان سيدات اورشليم كن يبتعن هذه الخمر من مالهن ويقدمنها لهذا الغرض . واذا رام الرومانيون صلب احد ولم تقدم له واحدة من النساء خمرًا فان الخمر تُشترى حينئذ من مال الحكومة . فلما قدم الجنود الخمر الى يسوع ذاقها ثم اعاد الكاس دون ان يشربها . ولا عجب فان هذا المخدر قد جُعل للنفوس الصغيرة التي لا تقوى على احتمال العذاب . اما النفوس الكبيرة فانها تود استقبال الموت وهي ممتلكة جميع حواسها وقواها

ثم ان الجنود دنت من السيد ونزعت عنه ملابسه . وكان الصليب مؤلفاً من جذعين على شكل الحرف T . ولم يكن مرتفعاً كثيرًا لان قدمي المصلوب كانتا تمسان الارض . فاخذه الجنود ونصبوه في الارض . وكانت العادة ان يسمروا يدي المصلوب في الصليب بمسامير واما قدماه فاحياناً يسمرونهما بمسامير واحياناً يربطونهما بحبل . وكانوا ياخذون ايضاً قطعة من خشب ويسمرونها في وسط الصليب بين ساقي المصلوب لتحول دون تمزق يديه وسقوط جسمه عن الصليب . واحياناً يضعون تحت قدميه افقياً لوحاً يسند رجليه لمنع سقوطه

ولما فرغ الجنود من اعداد الصليب ادنوا السيد منه وصلبوه عليه كما تقدم . فذاق السيد كل هذه الآلام الهائلة . وكان صليبه بين صليبي اللصين . وبعد الصلب جلس الحراس بجانب الصلبان ينظرون الى المصلوبين بعد ان اقتسموا ثيابهم . ففتح السيد حينئذ فاه الكريم وهو على الصليب بعد سكوته الطويل وقال « يا ابتاه اغفر لهم لانهم لا يعلمون ماذا يصنعون »

وكانت جرت العادة عند الرومانيين ان يعلقوا كتابة على كل صليب . فعلقوا هذه

المرة على صليب السيد كتابة باللغة العبرانية واليونانية واللاتينية هذه ترجمتها « ملك اليهود » وربما حمل الجنود هذه الكتابة امام السيد في طريقهم الى الجلجثة . اما اليهود فلما دروا بهذه الكتابة رأوا فيها اهانة لهم لانهم كانوا يؤملون عودة الملك اليهم فجاء كهنتهم الى بيلاطس وقالوا له « لا تكتب ملك اليهود ولكن هو قال انه ملك اليهود » (يوحنا الاصحاح ١٩ العدد ٢١) وكان بيلاطس قد ضجر منهم ومن كثرة طلباتهم فلم يسمع لهم

اما التلامذة فانهم تركوا السيد ولجئوا الى الفرار كما ذكر جوستينوس . ولكن يوحنا يقول انه بقي هو نفسه مقيماً بجانب الصليب . ومما لا ريب فيه ان النساء الجليليات اللواتي تبعن السيد الى اورشليم قد تبعنه الى الجلجثة ايضاً ولم يتركنه (١) وهولاء النسوة هن العذراء امه ومريم اختها ومريم المجدلية وصالومه وغيرهن . ويقول الانجيلي يوحنا انهن كن واقفات بجانب الصليب واما الانجيليون الآخرون فيقولون انهن كن ينظرن اليه من بعيد

ولكن ما عدا هولاء النسوة الكريمات لم يكن امام السيد وهو على الصليب سوى مناظر الدناءة والهمجية البشرية . فانه كان يسمع حوله التهكم والشماتة من كل صوب . فمن قائل « ياناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة ايام خلص نفسك » ومن قائل « خلص آخرين واما نفسه فما يقدر ان يخلصها . ان كنت ملك اسرائيل فانزل عن الصليب لنؤمن بك » وغيره كان يقول « قد قال انه ابن الله واتكل على الله فلينقذه الله لنرى » (متى ص ٢٧ ع ٤٠ ومرقص ص ١٥ ع ٢٩)

وكانت السماء حينئذ سوداء من الغيوم الملبدة في وجهها والارض في تلك الجهات قاحلة مجدبة . فكأن انحجاب السماء عن وجه ابن السماء اثار في الطبيعة البشرية شكاً وارتياباً فحسب انه يتعذب ويسفك دمه الذكي من اجل جنس دنيء لا يثمر ذلك الدم فيه . فالتفت حينئذ الى ابيه وقال « الهي الهي لماذا تركتني » ولكن هذا اليأس الوقتي لم يلبث ان انقشع عن نفسه وعادت اليه عواطف الواجب الذي جاء من اجله . فرأى من الخشبة

---

(١) وفي ذلك قال لويس مينار قولاً اراد به اظهار اخلاص النساء ورقة عواطفهن وشدة تأثيرهن في المجتمع البشري وهو « ان يسوع أُسلم الى الموت من احد تلامذته وأُنكر من تلميذ آخر وتُرك وهُجر من الجميع الا النساء فانه وجدهن يبكين على طريقه وهو صاعد الى الجلجثة »

التي كان عليها ان موته سيخلص العالم ويحييه وينشر الكرازة والبشارة باسمه في جميع اقطار الارض . ومنذ تلك الساعة بدأت حياته الالهية مع ابيه تلك الحياة التي مرت عليها القرون الطوال وهي في صميم قلب الانسانية

وكان من اشد عذابات الصلب ان المصلوب يعيش على الصليب ثلاثة او اربعة ايام وهو في تلك الحالة . ذلك ان الصلب غير مميت بحد ذاته لان الجروح التي تحدث في القدمين واليدين بسبب المسامير سهلة الشفاء . وانما الصلب يحدث في المصلوب خللاً شديداً في الدورة الدموية لقيام الجسم قياماً غير طبيعي وقتاً طويلاً فينشأ عن ذلك صداع شديد لا يحتمل ويعقبه الموت . وكان غرض الرومانيين من صلب المجرمين تشهيرهم وترك اجسادهم تبلى على الخشبة عبرة للناس لا قتلهم . ولذلك كان كثيرون من المصلوبين الاقوياء الاشداء ينامون وينتبهون على الصليب عدة ايام ولا يموتون الا من الجوع

ومن نواميس الصلب انه يثير في النفس ظمأ شديداً . فعطش السيد وطلب ماء . وكان هنالك اناء مملوء من شراب الجنود المالوف وهو مركب من ماء وخل ويسمي الرومانيون هذا الشراب « بوسكا » . وكان يجب على الجنود الرومانية ان تحمل من هذا الشراب في كل البعثات والحملات وفي جملة ذلك بعثة الاعدام . فقام احد هولاء الجنود وتناول قصبة فوضع على طرفها اسفنجة ثم غطسها في وعاء الخل والماء وادناها من شفتي السيد . فامتصها السيد . وبعد ذلك احنى راسه الكريم على صدره وقال « يا ابتاه . في يديك استودع روحي » واسلم الروح

فالآن قد تمّ كل شيء . قد تمّ العمل العظيم الذي ستبني عليه الانسانية . قد وُضعت الديانة الابدية بعذاب لم يتجاوز بضع ساعات . وواضعها العظيم ينظر الآن من علو مجده الالهي الى هذه الكرمة التي غرسها . كرمة مبنية على الدفاع عن الحق والاستماتة في سبيله وعبادة الله عبادة حقيقية وصنع الخير والمحبة والفضيلة والايمان وحب الفقر والرحمة . وستمر القرون والاجيال والعالم تابع له ولها . اما اسمه فانه يكون الراية الكبرى التي تدور حولها رحى اعظم حرب قامت بها الانسانية . وسيكون هذا الاسم الكريم محبوباً بعد هذه الحادثة الف مرة اكثر مما كان يوم مرور صاحبه في هذه الدنيا . بل انه يكون حجر الزاوية في بناء الانسانية حتى ان من يحاول نزعه منه يزعزع الانسانية من اساسها

﴿ سبب نقل هذا الكتاب الى اللغة العربية ﴾

﴿ الجامعة ﴾ هذا ما رأينا تلخيصه في هذا الجزء عن الفيلسوف رنان . وسنأتي في فرصة اخرى على ما يلي ذلك من انزال السيد عن الصليب ودفنه وتفاصيل القيامة . اما الآن فاننا نفارق هذا المؤرخ حيناً من الزمن لنلقي سؤالاً لابد منه وربما كان تعبنا في تلخيص هذا الكتاب من اجله . وهو راي الجامعة الذي ينتظره حضرات القراء منذ عدة شهور

وهذا السؤال هو : هل حفظت الديانة المسيحية بعد صاحب شريعتها كل المبادىء التي جاء لغرسها في الارض . وهل لم يدخل اليها بعده شيء من المبادىء التي حاربها وضحى نفسه في سبيل تحريمها

ونحن نرجو هنا ان ياذن لنا القارىء اياً كان مذهبه بابراز كل ما يكنه الضمير بهذا الشأن . وهذا الرجاء لانوجهه الا الى البسطاء الذين لا يعرفون مصلحتهم الحقيقية . اما النبهاء والافاضل والادباء الذين تتوقف عليهم حياة كل امة ويرجى منهم كل اصلاح وصلاح فاننا لا نوجه اليهم مثل هذا الرجاء لمعرفتنا بانهم هم انفسهم يوجبون على الجامعة ان تجهر بكل شيء ولا يعتبرونها اهلاً لان تمسك قلماً وتتكلم عن قواعد الفلسفة والعلم اذا كانت تخشى في الحق لومة لائم ولا تفضل ارضاء الضمير الحي على ارضاء البسطاء وذوي المصالح . ومن عساه يقوم الى النداء بكلمة الاصلاح اذا سكت الذين لا غرض لهم من بقاء الفساد ولم ينطق الا الذين لهم مصلحة في بقائه

ونحن نقول هذا القول ولا نجهل الانقلاب الاجتماعي الذي حدث في العالم منذ ايام السيد المسيح واوجب التغيير الذي حدث . فاننا نعلم انه بما ان الدين في كل امة من قواعد مدنيتها وحضارتها « ما بقي الانسان انساناً » فقد وجب بحكم الطبع ان يتغير شيء من هذا الدين تبعاً للزمان والمكان (دون خروج عن قواعده الاصليه التي بُني عليها) والا اصبح عبارة عن آلة انحطاط وتاخر بوقوفه في وجه تيار التقدم

نعلم ذلك ونسلم به اذ لا بدَّ من اجتماع البشر كما هم مجتمعون اليوم في الممالك والمدن وتزاحمهم وا اسفاه على شؤون الحياة من كل وجه . ولكنَّ الامر الذي لا يمكن العاقل ان يسلم به هو خروج هولاء البشر عن القواعد الدينية الاصلية الابدية التي بُنيت عليها كل ديانة صحيحة وكل هيئة اجتماعية

ابحث في الدين المسيحي وقل لنا ما هي دعائمه · وما هي خلاصة كتابه · هل دعائمه بناء الهياكل الشامخة وتزيينها بالصور والتماثيل واقامة العبادات المادية فيها ؟ كلا لانه لو كان الدين قائماً بالهياكل لما جاء ابن الانسان سيد البشر لهدم الهيكل · واي مكان اولى بالبقاء اذا صحّ ذلك الافتراض من هيكل سليمان

وهل دعائمه ان يقوم بين رؤساء الدين فئة «كالفئة الرديئة التي ذكرناها في العدد السابق» لا همّ لها الا الاستعلاء في الرئاسة وطلب الاموال من طرق شريفة وغير شريفة والهاء الشعب بظواهر الدين عن فضائله الحقيقية التي تفتح العيون والتجبر على الفقير ولحس اقدام الغني واتخاذ الرئاسة الدينية الكريمة آلة شنعاء «لاشباع الخزانة وملء الخزانة» كما قال الزمخشري · كلا فان الدين لو كان قائماً بذلك لما جاء ابن الانسان سيد البشر لمقاومة الفريسيين والكهنة الطامعين والمرائين

وانما دعائم الدين المسيحي وكل دين صحيح مبنية على النواميس الطبيعية الالهيـة التي بدونها لا تقوم قاعدة ولا يثبت بناء · ومن هذه الدعائم : خطبة السيد على الجبل · وعبادة الله بالحق والروح · وحب الشعب لانه الانسانية الحقيقية وخدمته وغسل اقدامه كما غسل السيد اقدام تلامذته · والاحسان الى كل انسان ومساعدته وحبه وخدمته ولو كان سامرياً اي منبوذاً · ومقابلة الشر بالخير لا بمثله · واعتبار الانسانية عائلة واحدة بالفعل لا بالقول كل واحد منها ملك وكاهن بحد ذاته ولا سيادة لاحد عليه · واذلال القوة اذا رامت دوس الفضيلة · ونبذ المال ودوسه بالاقدام اذا كان يضغط على الحق والضمير · والصفح عن كل اهانة تصدر من كبير او صغير · والمعيشة في الفقر والمسالمة والتواضع واعطاء ثوبك وردائك لمن يطلب منك رداءك فقط · وغير ذلك من الاحوال التي تقدم وصفها في الكتاب الذي تقدم

فالغرض المقصود من نقل هذا الكتاب الى اللغة العربية غير ما تقدم من اخبار الوسط التاريخي هو نشر عبير هذه الفضائل التي نسيها الناس وفي جملتهم المسيحيون واعادة ذكر المبادىء التي ضحى ابن الانسان نفسه من اجلها · وهل يستنكر ان يقال ان ابن الانسان لو عاد مرة ثانية الى الارض لاضطر ان يضحي نفسه مرة ثانية من اجلها ايضاً

كلا ليس ذلك بمستنكر لان الوسط الذي نعيش فيه في هذا القرن شبيه من عدة وجوه بالوسط الذي عاش فيه ابن الانسان · ولقد قام بين المسيحيين كثيرون من الذين طلبوا كسر نير ثقيل كالنير اليهودي القديم · ولكن ما لنا وللغرب فلنقصر الكلام على الشرق

فاننا نجد فيه حادثاً عاماً في كل طائفة وكل ملة وهو جدير بكل اهتمام. نجد ان مستنيري الامة وادباءها والمطلعين منها في جانب والرئيس مع حزب محافظ قديم في جانب آخر. وورءها او تحتها حزب آخر يضحك منهما كليهما اما لعدم اكتراثه او لانه نبذ كل ايمان من القدوة السيئة التي امامه. فقبل الاصلاح السياسي الذي يطلبه الشرقيون يجب ادخال اصلاح اجتماعي بهذا الشان. اذ اية عدالة تجيز لنا طلب اصلاح بيت لغيرنا اذا كان بيتنا خراباً. ومما يسهل سبيل هذا الاصلاح انه في قبضة الروساء كلهم مسيحيين وغير مسيحيين وفي امكانهم. فلوان هولاء الروساء المحترمين يقربون منهم الافاضل والمستنيرين الذين يحسنون خدمة الامة ويبعدون عنهم المتملقين والعاجزين والمرتزقين الذين يكونون كالعلق على جسمها. ويراقبون الرئيس الشرس الذي يتخذ رئاسته ذريعة الى ابتزاز الاموال ولا يرقون الى منصب الرئاسة الا اهلها. ويخدمون الرعية بالهمة والامانة والمبادىء التي خدم بها السيد تلامذته غير قاصدين الا وجه الله والقيام بالواجب المقدس — لما كتب رنان تاريخه ولما ترجمناه عنه ولسهل التوفيق بين الاحزاب الثلاثة التي تقدمت الاشارة اليها وحلّ محل الخلاف الظاهر في كل مكان تقريباً نهضة عامة الى التقدم الحقيقي

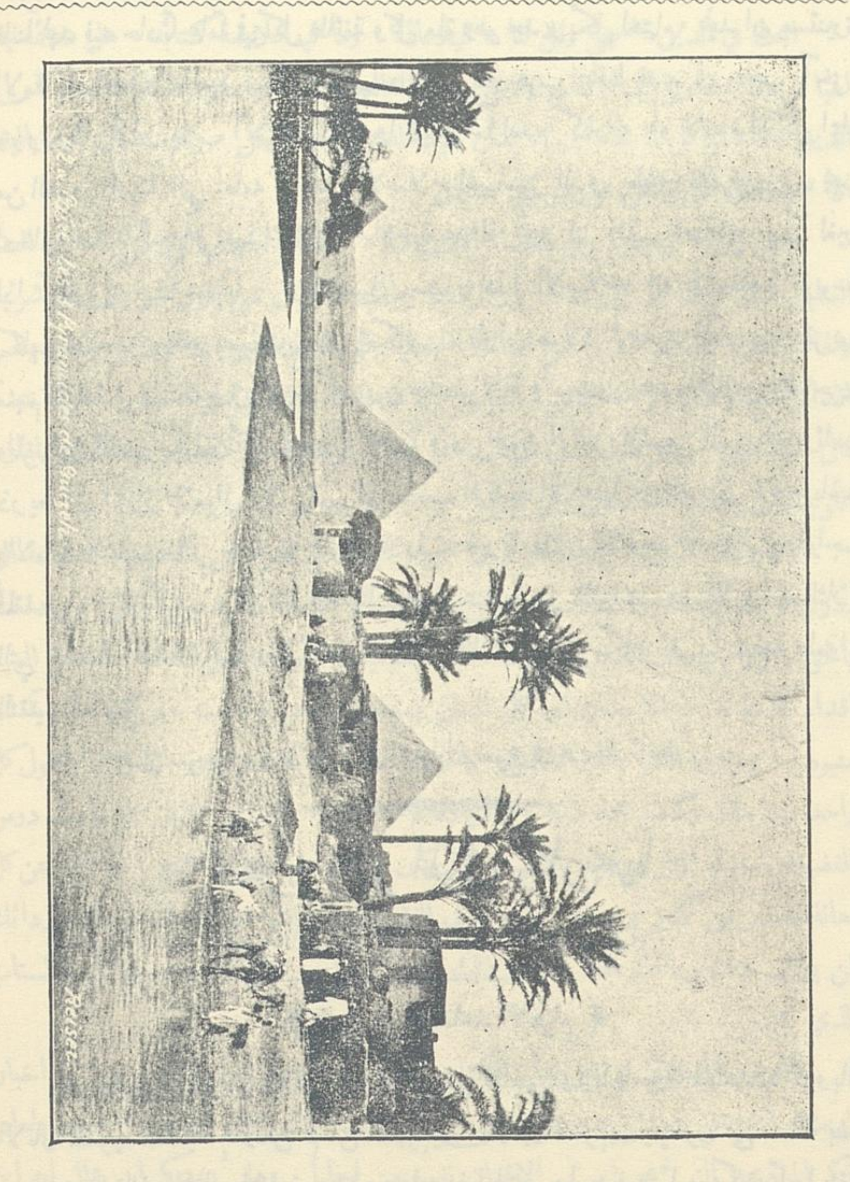
هذا اجمال موجز وربما عدنا الى هذا الموضوع في فرصة ثانية

الاهرام وابو الهول وتاريخها

لحضرة الكاتب الاديب الياس افندي عيساوي

﴿ تمهيد لمن لم يشاهد الاهرام ﴾

مصر مشهورة باهرامها ولذلك يفد الناس من اقاصي اوربا واميركا لمشاهدتها هي وباقي الاثار المصرية القديمة. ولكن كم من المصريين وغير المصريين يعيشون على مسافة بضع ساعات من تلك الاثار ولا يزورونها وربما صرفوا العمر ولم يعرفوها. وكثيراً ما يتفق ان يلقوا بعضاً من الافرنج فيسالهم هؤلاء عن الاهرام وعن طريقها وتاريخها فيفضل اولئك ان يكذبوا ويقولوا بانهم زاروها على الاعتراف بالحقيقة المخجلة. فرغبة في مساعدة هولاء المهملين وتخفيف تلك الكذبة التي يدافعون بها عن اهمالهم رايت ان اكتب لهم وللقراء الجامعة في خارج القطر المصري وصفاً جامعاً لابي الهول وللاهرام كبيرها وصغيرها فاذا



﴿ قرية على النيل في سفح الاهرام ﴾

حفظه القارىء عرف بالفكر تلك الآثار العظيمة ان لم يعرفها بالنظر ووقف على وصفها وعلى تاريخها وتاريخ بنائها مما لم اجده مجموعاً في موضع واحد في المجلات والجرائد العربية . وساوجز الكلام بقدر الامكان واعتمد فيه على سائح انكليزي كريم قضى في هذا العام

اشهرًا وهو يفتقد الاهرام واماكنها . فاقول

﴿ الغرض من بناء الاهرام ﴾ كان المصريون القدماء يعتقدون بان نفس الانسان تعود الى جسده بعد الموت ولذلك كانوا يحنطون اجساد موتاهم حفظاً لها من البلى حتى اذا عادت النفس الى جسدها وجدته صالحاً لسكنها . اما ملوكهم فالظاهر ان التحنيط لم يكن كافياً لارضاء كبريائهم ولذلك رأوا ان يبنوا ابنية عظيمة لحفظ اجسادهم المحنطة فيها فبنوا الاهرام المعروفة الآن . ولعلهم اول البشر الذين اعتقدوا بالبعث ونصبوا تحت قبة السماء المباني الفخيمة التي تذكّر الانسان بفناء هذه الحياة والامل في الحياة الثانية

﴿ اهرام الجيزة ﴾ اما هذه الاهرام جميعها فعددها ٦٧ هرماً وهي واقعة على طرف صحراء ليبيه وتمتد على بعدستين ميلاً من مدينة القاهرة . وهي عدة مجموعات اعظمها اهرام الجيزة . واول هرم (١) من هذا المجموع هو الاقدم عهدًا والاكبر حجماً والاحسن بناءً . وقد اقامه احد ملوك المصريين القدماء المدعو خوفو وذلك في سنة ٣٩٥٠ قبل الميلاد المسيحي . وكان علوه في بدء امره ٤٨٠ قدماً اما الآن فقد تسطح من اعلاه . ومساحة قاعدته ١٣ فداناً من الارض وقد اشتغل في بنائه مائة الف عامل في مدة ٢٠ سنة بلا انقطاع . والناظر من قمة هذا الهرم الى السهل الذي في جواره يرى الى مسافة بعيدة مجموعات الاهرام الواحدة وراء الاخرى ويرى في الجهة الشرقية جبل المقطم الذي كانوا يقطعون منه الحجارة لبناء الاهرام . وكانوا يقطعونها ثم ينتظرون ارتفاع النيل لكي يضعوها على اطواف وياخذوها في النهر الى مكان البناء . وتظهر مدينة القاهرة من قمة هذا الهرم جميلة المشاهد . اما داخله

﴿ ترجمان مصري لمرافقة السياح ﴾

(١) نشرنا رسم هذا الهرم وابي الهول في احد الاجزاء السابقة فلا حاجة الى اعادته

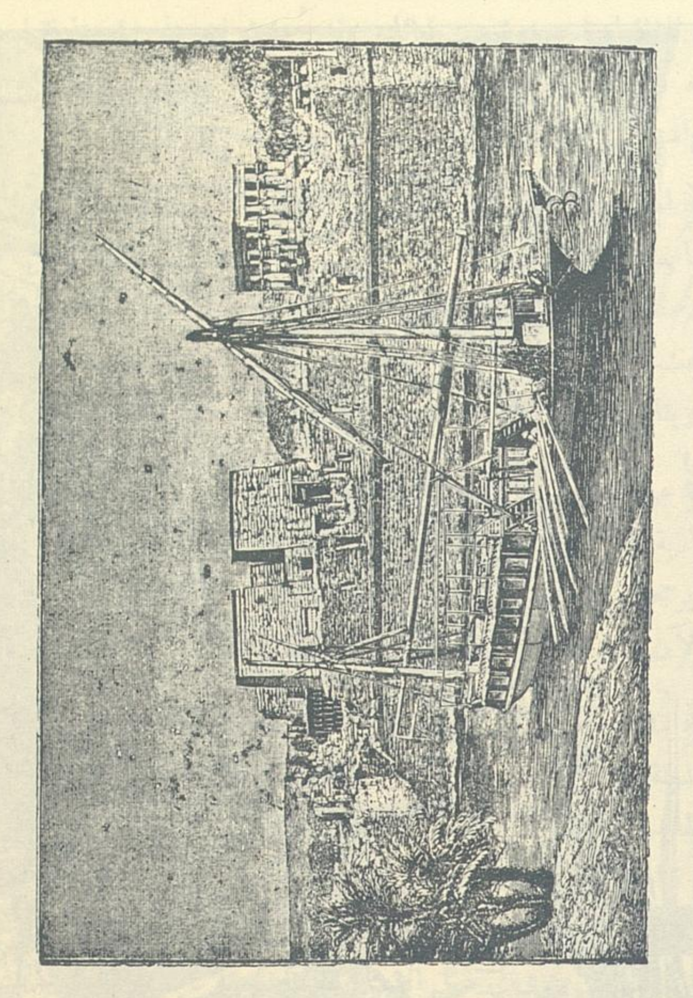
فعبارة عن عدة معابر وغرف في احداها تابوت حجري للملك خوفو وهذا التابوت ضخم جدًّا ويظهر انه نُحت قبلما شُرع في بناء الهرم لانه اكبر من الباب المؤدي اليه · وحول هذا الهرم ثلاثة اهرام صغيرة بناها الملك خوفو لبناته الثلاث · وكانت هذه الاهرام الاربعة حتى ايام اليونان والرومان مطلية بمادة بيضاء ثمينة تنعكس عنها اشعة القمر في الليالي المقمرة فتتجلى بابهى الحلل · ولكن الزمان جردها من تلك الحلة فلم تعد جميلة كما كانت اولاً



﴿ شيخ بدو يدلّ السياح في الاهرام ﴾

﴿ ابو الهول ﴾ وقريباً من هذا الهرم شخص ابي الهول العظيم وهو اقدم عهدًا من الاهرام ويُظن انه بُني على عهد مينيس اول الفراعنة او على عهد الدولة الرابعة وقد كتب عنه مؤرخو اليونانيين والرومانيين فقالوا ان وجهه كان غاية في الجمال ولكن الآن وقد نزع انفه لم يبقَ له غير جمال الشيخوخة والكبر · اما عينا ابي الهول وفمه فباقية على اصلها ويُظن ان وجهه بقي كاملاً حتى سنة ١٢٠٠ بعد المسيح حين استولى المماليك على ازمة البلاد المصرية فظنوه روحاً شريرة تعبث في البلاد فجعلوه هدفاً يصوبون اليه السهام والمقذوفات · ويتضح لك جمال ابي الهول من صورة له صغيرة وجدت منذ مدة في تلك الانحاء

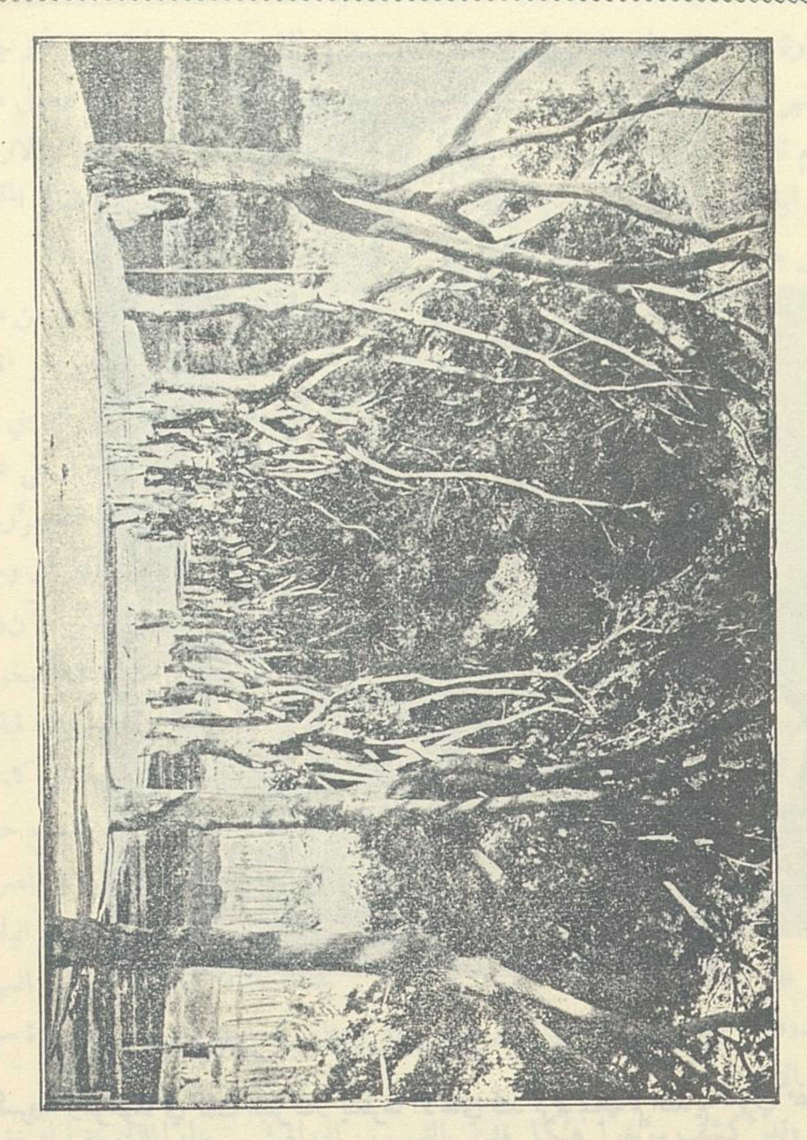
وقد كُشف مؤخرًا هيكل قديم بالقرب من ابي الهول بناه الملك خفرا او خفرع صاحب الهرم الثاني وهو مبني من حجارة صوانية يبلغ طول بعضها ١٨ قدماً ومما يدل على اتقان الاقدمين للصناعة دقة بناء هذا الهيكل وتلاحم حجارته بعضها ببعض تلاحماً يجعلك تخالها كلها حجرًا واحدًا · والهيكل مصقول من الداخل وهو الآن مطمور تحت الانقاض ولم يُكتشف منه غير جزء صغير · وقد وُجدت فيه بئر عميقة مطروحة فيه قطع ستة عشر تمثالاً لخفرع المذكور ويُظن ان الفرس لما غزوا هذه البلاد وجدوا هذه التماثيل



﴿ ذهبية في النيل بين الاثار المصرية في جزيرة انس الوجود ﴾

فكسروها وطرحوها في تلك البئر لئلا ينظرها الاهالي فتذكرهم بجدهم القديم · وهي منحوتة من رخام غاية في الصلابة واحسنها موجود في متحف القاهرة

اما الهرم الثاني فبانيه خفرع كما ذكرنا وذلك في سنة ٣٨٦٠ ق · م · وهو يظهر للناظر اكثر ارتفاعاً من الهرم الاول ولكنه ليس بالحقيقة كذلك بل سببه ان الارض المبني عليها مرتفعة وقمته باقية على علوها الاصلي خلافاً للاول · والى الجهة الشرقية من هذا الهرم بقايا هيكل كان عظيماً في يومه ولكنه ليس الان سوى انقاض و بعض حجارة



﴿ عودة السياح من الاهرام على الخيل من طريق الجيزة ﴾

منتشرة في ذلك السهل · ووراء الهرم الثاني دكة واسعة يقول عنها العالم المستشرق بتري ان المائة الف عامل الذين كانوا يبنون الهرم الاول كانوا يأوون اليها و يستريحون عليها عند ارتفاع النيل في ايام الصيف · والهرم الثالث قريب من هذه الدكة وهو اصغر من الاولين حجماً ولكنه اكثر زخرفة و بانيه هو الملك منقاوره · والى الشرق هيكل صغير والى

جنوبيه ثلاثة اهرام صغيرة بنيت لعائلته . وقد وُجدت فيه منذ ٤٠ سنة فقط مومياء الملك منقاوره موضوعة في تابوت حجري وداخله ابسط جداً من الهرم الاول والصعود اليه من الخارج اسهل من الصعود الى الاهرام الاخرى

﴿ اهرام ابي روش ﴾ وقريباً من اهرام الجيزة قبور عديدة منحوتة في الصخر ومغطاة جدرانها بصور ونقوش تدل على انها جُعلت لوزراء الملوك وسكان بلاطهم كما ان الاهرام جُعلت منازل ابدية للملوك انفسهم . وعلى بعد اربعة او خمسة اميال مجموع اهرام ابي روش وقد امّحت الآن آثارها ولم يبق فيها علاوة على الانقاض سوى غرفة واسعة منحوتة في الصخر ويقال انه كان هنالك عدة من الاهرام ولكن لا يُعرف الآن شيء عنها

﴿ هرم ابي صير ﴾ وبعد هذه الاهرام تاتي اهرام ابي صير وهي اقل اتقاناً وحجارتها اقل صلابة وادنى جنساً من اهرام الجيزة وهي عبارة عن ١٤ هرماً جُعل كل واحد منها على ما يرجحون لملك من ملوك الدولة الخامسة التي ملكت حوالى سنة ٣٥٠٠ ق . م . وحتى الآن لم يتم التنقيب فيها ويُظن ان موميات اصحابها لا تزال باقية فيها

﴿ مدينة منف ومقبرتها ﴾ وكل المسافة الواقعة بين الهرم الاول والاخير كانت مقبرة لمدينة منف اول عاصمة الفراعنة . وقد غير « مينيس » مجرى النيل وبنى منف ثم بنى حولها سدوداً تقيها من الفيضان وبقيت كذلك الى سنة ٤٥٠ ق . م حيث خربت السدود ففاض النيل عليها وغمرها غير تارك لها من اثر سوى تمثالين عظيمين لرعمسيس الثاني . وقد بنى بعض الافرنج مؤخراً نزلاً كبيراً قرب الاهرام دعوه « نزل مينا » تخليداً لاسم باني منف الشهير . وترى في سهل الاهرام عظاماً بشرية غاية في الخفة لقدمية عهدها . وسبب تبعثرها في ذلك السهل ان بعض الاهالي ينبشون القبور في ايام الصيف طلباً للاواني الزجاجية والمسكوكات القديمة ثم يتركون تلك القبور مفتوحة فتتبعثر العظام . ولا يظنن القارئ ان الذين يرتكبون هذا الذنب هم الاهالي فقط فان كثيرين من الباحثين الافرنج يسابقونهم اليه

﴿ هرم سقاره ﴾ وعلى خمسة اميال من مجموعة ابي صير هرم سقاره وهو مبني بشكل درجات الواحدة اعلى من الاخرى ولذلك سمي « المدرَّج » وشكله حسن يسرّ الناظر ويختلف عن غيره بانه مبني من حجارة صغيرة بدون كلس يلصق بعضها ببعض وهو اقدم

الاهرام على الارجح . ومن الغريب ان هذا الهرم ثبت ٧٠٠٠ سنة او اكثر بدون ان يسقط او يتداعى للسقوط مع ان هندسته لا تُذكر بالنسبة لهندسة الهرم الاول . وحوله حفر ومهاوي تجعل السائر في خطر اذا لم ينتبه اليها . واصل هذه الحفر اما قبور بسيطة نبشها الاهالي كما ذكرنا او قبور ومغاور واسعة مزخرفة حجارتها بالصور والنقوش وكثير منها جُعلت له الآن ابواب خصوصية ووضع لحراستها اشخاص من لدن الحكومة ولا يؤذن بدخولها الا لمن يشتري اوراقاً خصوصية لذلك . وادق هذه القبور صنعاً قبر ميري وهو منحوت في الصخر ويؤدي الى قبرين شبه جناحين جعل الواحد لابنته والاخر لزوجته . وقريب منه قبر « تي » المقاول لعدة اهرام وهو الذي اخذ على نفسه بناء هذه المعاهد العظيمة ولا عجب فان من تعب مثله جدير بتخليد اسمه . وعليه فقد كتب هذا الرجل على قبره بالخط الهيروغليفي القديم عن تاريخ حياته وبيان عظيم افعاله وغناه ومكانته من قومه الى غير ذلك مما يكشف شيئاً من النقاب عن الهيئة الاجتماعية في زمنه

ومكتشف اكثر هذه القبور هو العالم المستشرق ماريت وقد بنى لنفسه بالقرب من هرم سقاره بيتاً خشبياً وداوم البحث عدة سنوات ومن جملة ما اكتشفه في سنة ١٨٥٦ مغارة عظيمة وجد فيها ٣٠ تابوتاً حجرياً طول الواحد منها ١٥ قدماً وعرضه وعلوه ٨ اقدام وفي جميعها موميات العجول المقدسة (ابيس) التي كان يعبدها المصريون والتي اختفت منذ ٢٠٠٠ سنة فلم تظهر حتى ذلك الحين

﴿ هرم يوناس ﴾ وقد فتح السير جون كوك الشهير هرماً فوجد فيه تابوت الملك يوناس الذي ملك في سنة ٣٥٦٠ ق . م وقد نقلت عظامه الى متحف بولاق اذ لم يكن محنطاً ويمتاز هذا المدفن عن غيره بالكتابات الهيروغليفية . وقد قرأها العلماء فوجدوها صلوات « لراحة نفس الملك الابدية حتى القيامة »

﴿ اهرام دهشور ﴾ وسوى ما تقدم لم يبق من الاهرام سوى مجموع اهرام دهشور وهي اربعة اثنان منها مبنيان من حجر واثنان من اجر . فالحجريان لم يُبدأ بفتحهما بعد ولذلك لا نعرف عنهما شيئاً . اما المبنيان من الاجر فانهما غاية في الاتقان وحسن الهندسة وقد كُشف في داخلهما من العاديات والآثار القديمة ما تساوي قيمته ٧٠ الف جنيه وجميعها من اثمن ما وجد في مصر . وقد تحقق العالم دي مورغان انهما قبران لاميرتين من اميرات المصريين القدماء . ومن المستغرب ان كل هذه النفائس

بقيت في هذين الهرمين مع ان رعمسيس الثاني قد سلب كل الجوهرات النفيسة التي في الاهرام. ذلك لانه اضطر يوماً الى المال واذ لم يجد منه ما يكفي عند الاحياء لجأ الى الاموات . فكأنَّ الانسان لم يكن يخلص من طلب حكامه في ذلك الزمان حتى ولو فارق الحياة .

النهضة الادبية الحديثة في مصر والشام

﴿ اقتراح على الكتاب والقراء ﴾

(هل هذه النهضة نهضة حقيقية ام لا)

الامور الواجب الاتفاق عليها بين ارباب الصحافة

اذا تناول القارىء البصير الجرائد والمجلات العربية التي تُطبع في مصر وسوريا واميركا سمع فيها في اكثر الاحيان انيناً بعيداً تختلط فيه اصوات اصحاب تلك الجرائد والمجلات واصوات قرائها ومحرريها

فرصفاؤُنا اصحاب الجرائد والمجلات يشكون تلميحاً وتصريحاً من قلة القراء وعدم اهتمام الجمهور بالجرائد الاهتمام الواجب لها . ورصفاؤُنا المحررون يشكون — ولكن سراً لا علانية — من ان اصحاب الجرائد لا يوفونهم حقهم من الجزاء في مقابلة التعب الذي يعانونه في تحرير جرائدهم ولا يدعون لهم من سبيل ولا وقت للظهور . والقراء الذين هم الجمهور ومن مالهم تعيش الصحافة العربية وتثري يشكون من ان الصحافة لا تبذل كل جهدها في مراقبة الهيئة الحاكمة وجلب النفع للهيئة المحكومة

وفي ذات يوم زارنا احد القراء الافاضل الذين نجلّ آراءهم واسهب في الكلام عن هذا الموضوع . فقال « انني مولع بالمطالعة ولا اضنُّ في سبيلها بمال ولا بوقت ولكن على شرط ان ارى شيئاً يستحق المطالعة . وانني مشترك بجريدة يومية فرنسوية فكلما حملها البريد اليَّ صرفت ساعتين او ثلاثاً في مطالعة كل عدد من اعدادها لكثرة موادها ولطف اسلوبها وتنوع ابحاثها مع انني لا اصرف في قراءة الجريدة اليومية العربية الا عشر دقائق على الكثير . فهل يصحُّ ان تبقى هذه الحالة حالة الصحافة العربية عندنا الى ما شاء الله . لا ريب انه لو قامت مجلة عالية الصوت غير منحازة الى فريق دون فريق وفتحت باب المناقشة في هذا الموضوع لتوجيه الانظار الى هذه الحالة انحاز اليها كل افاضل الكتاب

الذين يودون شحذ عقولهم واظهار مواهبهم في جرائد تمكنهم من ذلك وكل القراء الذين يطلبون صحافة قوية كالصحافة الاوربية وكل اصحاب الجرائد والمجلات المنصفين الذين يعرفون في نفوسهم سوء هذه الحالة »

وقد طرق هذا القول مسامعنا في ساعة كنا نفكر فيها بكتابة تاريخ موجز للنهضة الادبية العربية الحديثة ونقرنه بذكر رصيفاتنا من المجلات والجرائد العربية التي تُطبع في مصر والشام واميركا ذكرًا يدل على حيّز كل واحدة منهن ويكون كتاريخ صغير لهنّ او كدليل عليهنّ وعلى ما يعانينه من التعب في خدمة الجمهور . وبما ان هذا البحث مرتبط بالبحث الاول اشد ارتباط راينا ان نضمّ الواحد الى الآخر ونستمد في هذا الموضوع آراء افاضل الشرقيين وعلمائهم وكتابهم وقرائهم على سبيل الاسترشاد بعلمهم والاهتداء بهديهم

ولم نصنع كذلك لتسليمنا بالراي الذي تقدم لاننا من اعرف الناس بعقبات الصحافة في الشرق وما يقتضيه تقدمها من التدريج وما يعانيه رصفاؤنا الكرام من التعب في سبيل هذه الخدمة . لاسيما واننا تولينا في مدة سنة رئاسة تحرير احدى الجرائد اليومية وذقنا من خل التحرير اليومي وخمره وعرفنا ما بطن وما ظهر من امره . ولكنا راينا من الفائدة ان يتبادل الكتاب والقراء آراءهم في موضوع خطير كهذا الموضوع فان الحقيقة بنت البحث كما قيل وربما كان في هذا البحث فائدة عامة لارباب الصحافة ومحرريها وقرائها معًا . ولذلك انشأنا الاسئلة التالية والقيناها على بضعة من اهل الفضل والرصفاء والادباء . وقد انتظرنا صدور هذا الجزء لنلقيها على حضرات القراء . وهذه الاسئلة هي

١ ما رايكم في الصحافة الحاضرة من مجلات وجرائد وكم واحدة تطالعون منها

٢ ما الواجب صنعه في رايكم لتحسين حالتها وهل لديكم نصيحة خصوصية لها

٣ هل تعتقدون بوجود نهضة ادبية حقيقية في الشرق وهل هي جارية على قاعدة طبيعية مقتضاها الارتقاء تدريجًا

٤ هل لديكم نصيحة خصوصية للشرق والشرقيين وخصوصًا المصريين والعثمانيين كالدعوة الى ادخال شيء جديد ونبذ شيء قديم

٥ ما رايكم في مجلة الجامعة بنوع خصوصي وهل لديكم نصيحة خصوصية لها (١)

---

(١) وهنا نعيد ما ذكرناه في ذيل الاسئلة : لمن يتكرم بالاجابة الخيار في ان يجيب عن كل الاسئلة او عن بعضها . وله الحق بطلب كتمان اسمه على شرط ان يكون معلومًا لدى المجلة . وتُنشر الاجوبة على الترتيب بحسب ورودها

هذا ونرجو من القراء وغير القراء الذين يتفضلون بالمجاوبة على هذه الاسئلة او على بعضها ان يلتزموا الاختصار بقدر الامكان لنتمكن من نشر جميع الاجوبة التي تردنا والا اضطررنا الى تاجيل بعضها كما فعلنا في هذا الجزء بسبب ضيق المقام . وقد كتب الينا بعض ممن القيت عليهم هذه الاسئلة يستمهلوننا الى الجزء القادم ليروا كيف يكون مجرى هذا البحث لانهم وجدوه جديداً وهم يخشون الدخول في كل امر جديد . فنحن نمهلهم ما شاءوا . ومتى فرغنا من نشر الاجوبة نستخرج منها كلها ١٠ او ١٢ مادة تكون دستوراً للصحافة الصحيحة التي يُرجى منها دون سواها النفع والفائدة . ويكون الفضل في ذلك لمراسلي الجامعة الذين امدوها بآرائهم الصائبة وافكارهم الثاقبة

اما البند الخامس الموضوع في آخر الاسئلة فقد اثبتناه في هذه المناسبة لنقف على آراء قراء الجامعة في مجلتهم وما يرونه زائداً او ناقصاً فيها لنصلحه في التحسين الجديد الذي ننوي ادخاله قريباً كما اشرنا الى ذلك في غير هذا الموضع

﴿ البصير ﴾ وقد كان اول جواب وصلنا جواب رصيفنا المفضال عزتلو رشيد بك شميل صاحب جريدة البصير الغراء وهي الجريدة اليومية الوحيدة في الثغر الاسكندري وهذا نصه

حضرة الفاضل صاحب مجلة الجامعة الغراء

اطلعنا على سؤالاتكم وعنها نجيبكم بما ياتي

(١) الجرائد العربية في الشرق حسنة مفيدة بالتعميم وسيئة مضرة بالتخصيص وذلك بالمقابلة بينها وبين حالة البلاد الشرقية سواء كانت بحكومتها او بشعبها واني اقرأ العدد الاكبر منها حينما يسمح لي وقتي المخصص لمثل ذلك

(٢) لا تتحسن حالة الجرائد الا اذا كانت حاصلة على الحرية التامة وقد لا تملك الجرائد في القطر المصري حريتها الا باتساع دخلها ولا تملك سائر الجرائد حريتها الا بذلك وبان تقدرها الحكومة حق قدرها فاذا تم للجرائد الشرقية ذلك وكان لها نقابة منها فقد لا تقل فائدة عن اعظم الجرائد الاوربية

(٣) لا نعتقد بوجود نهضة ادبية بالشرق ولكن التقدم الادبي القليل الذي يراه العقلاء انما هو سنة الارتقاء العرضي او الاضطراري اما ما يسميه الغير المتطلعين الى العواقب نهضة ادبية في الشرق فما هو الا اندفاع غير مرتب ناجم عن ظل الحرية الفجائية المخيم على بعض

العقول وهذه النهضة اذا صحت تسميتها انما هي كثيرة العثرات سيئة العواقب وقد تنقلب يوماً ما اذا لم يقوّم العلم الصحيح معوجها الى عكس المراد بالنهضة الادبية الصحيحة

(٤) النصيحة التي نراها مفيدة لبلوغ الشرقيين النهضة الحقيقية هي العلم والاخاء

(٥) في اعتقادنا ان المجلات افيد للعامة من الجرائد السياسية اليومية ونصيحتي الى الجامعة ان تكون اجمع للارشاد الى سبل النهضة الادبية والى ما يفيد البلاد التي تصدر فيها وتجني ثمرات اتعابها منها

هذا ما عنّ لنا ان نجيبكم عليه بكل اختصار لان الجواب على سؤالاتكم بالتطويل والشرح الوافي تضيق دونه صفحات الجامعة واقبلوا احترام رصيفكم

رشيد شميل صاحب البصير

﴿ امام تسجد له الاقلام ﴾ اما الكتاب التالي فهو من امام في القاهرة تسجد لذكره الاقلام في المحابر وتتشرف الجامعة بصداقته ورسالته وهذا نصها

حضرة الفاضل صاحب مجلة الجامعة

لا اجد الآن من الوقت ما يسع الجواب عن مطالبك جميعها . ولكني احب ان اجيبك عن كل واحد منها متى امكنني الوقت من ذلك . وانما يسهل عليّ ان اجيبك الآن عن آخر سؤال . رأيي في مجلة الجامعة انها من ابعد المجلات عن سوء الظن الذي يكثر نشوبه بغيرها وليس يعلق بذهن الناظر فيها الا حسن القصد . والنصيحة التي اقدمها لمجلة الجامعة ان تستمر على خطتها وان تثابر السعي وراء طلبتها وارجو ان تقبل تحية الاحترام من الفقير الى الله وحده محمد

وقد سجلنا هذا الوعد وعد الحر الكريم دين انما اضطررنا الى اختصار الكتاب والاكتفاء بسطر من الثناء الذي وجهه كاتبه الكريم الى الجامعة تنشيطاً لها . ولا غرو ان يصدر التنشيط من مثله

﴿ مصر ﴾ اما رصيفتنا جريدة مصر الغراء فانها كانت اول من فتح باب البحث في النهضة الادبية ووجوب اصلاح حالها . وقد كان رايها من الاراء التي استندنا اليها في فتح هذا الباب لانها لسان حال طائفة عظمى في مصر فضلاً عن ان جناب رئيس تحريرها المشهور بطول الباع وسعة الاطلاع من الذين على رايهم المعول في هذا الموضوع وهذا ما

كتبته عن الاقتراح

« اهتمت مجلة الجامعة الغراء لموضوع النهضة الادبية التي كتبنا في شانها مرارًا وعزمت على نشر مقالات متتابعة في هذا الصدد وقد ارسلت كتبًا الى بعض من ارباب الاقلام تسألهم رايهم في هذه النهضة وهل هي حقيقية . وما راي الكتاب في الصحافة الحقيقية وكم جريدة او مجلة مصرية هم يقرأون وكيف يمكن التحسين الى غير ذلك من المباحث المفيدة التي وردت في موضعها حين شرعت مجلة الجامعة الغراء في البحث عنها لانه اذا كان في القطر مجلة شهية مفيدة طلية فان تلك المجلة هي الجامعة الغراء . ومن راينا ان تُطرح هذه المسائل على جمهور القراء ولا نقصر على قليل من الكتاب والمحررين »

فعسى ان لا تضن رصيفتنا برايها في هذا الاقتراح الذي استحسنته

﴿ صديق ﴾ ووصلنا من صديق الكتاب التالي

حضرة منشىء الجامعة الغراء

في رايي انكم فتحتم بابًا كان الاولى بالجامعة سده اذا كانت تخاف ثورة الخواطر عليها لان هذا البحث يشمل كثيرًا من القصور والتقصير . ذلك ان المسئول عن حالة الصحافة الآن ليس اربابها فقط بل محرروها والحكومة والجمهور والاغنياء والحكام ايضًا . فان الحكومة مسئولة لانها لا تتفق مع القناصل لتضع للصحافة لجامًا اي قانونًا يجري عليها كلها اجنبية ووطنية وتُحاكم كل واحدة تخرج عن حد وظيفتها بالطعن والسباب ولا تبيح الصحافة الا لاربابها . والجمهور مسئول لانه يرضى بكل ما يُقدم له غثًا كان او سمينًا وقلما يميز بين النافع وغير النافع وجعله الاشتراك « مسالة امتنان ومحسوبية » واغضاء الاغنياء عن مساعدة الكتاب وجعل جوائز مالية لهم . والحكام مسئولون ايضًا لان الجريدة التي تجترىء على انتقاد عمل من اعمالهم في الارياف تُحسب عدوة لهم فينتقموا منها بان يقربوا اليهم الجريدة التي تناظرها لتمدحهم وتثني عليهم ولو ضد الحق وهكذا يبقى الفساد سائدًا . والمحررون مسئولون ايضًا لانهم لا يتعبون في ما يكتبون وانما يسطرون ما يسطرون « لتملية الورق » مقابل الثمانية او العشرة جنيهات التي يقبضونها في كل شهر والتي هي اجرة مقالة واحدة للكتاب في جرائد اوربا . اما ارباب الصحافة فانهم يقولون ان القراء معدودون فاذا اتقنوا جرائدهم او لم يتقنوها لم يزد عددهم ولم ينقصوا . وبناء عليه يكون اقتراح الجامعة داعيًا لاستياء كل الطبقات ولا يُسر به الا قراؤها الذين يقرئون موضوعًا جديدًا . واقبلوا جزيل السلام « صديق »

﴿ احد القراء ﴾ اما الرسالة التالية فهي من « احد القراء » الذين يحبون الاختصار ونصها

« لو علمت المجلات والجرائد الشرقية انها اذا نهضت نهضة واحدة لحث الحكومات على التعليم الالزامي تكون كمن يسعى لمصلحته لما قعدت عن ذلك طرفة عين . فاصلاح شان الصحافة العربية متوقف على التعليم الالزامي لان به يصير القراء يعدون بمئات الالوف »

« احد القراء »

﴿ كاتب ﴾ واما الرسالة التالية فهي من كاتب يحب مزج الهزل بالجد وهي

(١) رايي في المجلات والجرائد انها تثقف الالباب ولا غنى للعقلاء عنها اذا كانت صالحة

(٢) يجب ان تكون ذات راس مال في العلم والمال لتقول الحق ولا تخشى لومة لائم . ونصيحتي الخصوصية اليها ان تبطل من صفحاتها ذلك المدح البارد وتلك الالقاب الثقيلة

(٣) النهضة الادبية لا تُنكر وهي سائرة سيرًا تدريجيًا . والجامعة من الادلة على وجود هذه النهضة كما ان الكون من الادلة على وجود الله

(٤) نصيحتي الخصوصية للشرقيين لا اقولها لانهم لا يعبئون بها وانا اكره وعظ الذي لا يسمع الوعظ

(٥) نصيحتي للجامعة ان تبقى في دور الشباب ولا تدخل في دور الشيخوخة ابدًا

« احد الكتاب »

﴿ كاتب شديد الوطأة ﴾ واليك الآن راي كاتب شديد الوطأة

« صحافة الشرق ولا حياء في القول صحافة تقليد ومتابعة على غير قياس وتطريس على آثار السابقين ولكنه تطريس مهين للغة العرب فباتت الصحافة مضروبة على قالب واحد وطبعة واحدة لا تجديد فيها ولا ابداع ولا يهم رجالها توليد مادة جديدة للكلام لانها قائمة بلا احزاب ومرماها تجاري بحت لا تدفع مقضيًا ولا تستجاب اتيًا لعلم العاقلة منها (وقليلة ما هي) ان الشرق مأكول وان الامة مستغرقة بسيل الاجنبي محصودة بمنجل القوة فلا نجاة لها ولا امان . فما ضرَّ هذه الصحافة لو اصطفت للقيام عليها رجالاً يعرفون كيف

يسيرون بها الى ما هو اوضح سبيلاً واعلى منارًا . والذي يضحك المجتهد الباحث اقتصار اكثر اهل الصحافة العربية في هذا الوقت على مطالعة انفاس بعضهم بعضاً واقتباس الالفاظ والتراكيب على اسلوب واحد خلا ما هنالك من سقم وجوه التعريب ونقل الاخبار التافهة التي لا تفيد الشرقي ولا تجديه نفعاً

ولا اكتم قارىء هذه السطور انني لا ارى في هذه النهضة العربية ما يحق ان يسمى نهضة حقيقية لان حاملي لواء هذه النهضة ليسوا كلهم رجال الامة المشرقية . وليست عندي من كلمة اقولها في هذا المبحث غير الاتحاد على جمع شتات رجال الاقلام وتاليف مجمع علمي لغوي يضم الافراد الى حظيرته

وغير منكر ان النهضة في الشرق كائنة ولكنها لنحس حظ الشرق غير جارية على قاعدة طبيعية من شانها الارتقاء تدريجياً وذلك لفقدان العلم والتربية وانحصارها في نفر قليل من خاصة الشرقيين . ومعلوم ان التربية اسس تقدم الامم ودعامة العمران فما زالت هذه التربية التي هي ام الفضائل والكمالات الانسانية معدومة من بين اهل هذه الامصار على اختلاف طوائفهم فلا امل للشرقيين بالحياة السياسية وما دامت الحياة السياسية غير موجودة فلا سبيل الى صعود سلم العلم والفضيلة . والحالة اظهر من ان ينبه عليه لان الفوضى شاملة كل شيء والاختلاط في احوال هذه الشعوب والاقوام ساد الى درجة ادمج الفاضل في سلك المفضول وادخل العاقل في سمط المخبول وارتفع سعر الجهل بارتفاع قيمة حامل الدينار فحق على العالم والفاضل التستر والتظاهر بما يرضي اولى العمى والجهالة ولسان الحال ينشد قول شيخ المعرة

اقررتُ بالجهل وادعى فهمي قوم فامري وامرهم عجبُ
والحق اني وانهم هَدَرٌ لست نجيباً ولا هم نُجبُ

وليس عندي انا الفقير غير نصيحة واحدة خصوصية للشرق والشرقيين وخصوصاً العثمانيين وهي عقد مؤتمر اصلاحي في مصر . وما تنفع الخطط والمناصب ولا تجدي الاموال والمراتب اذا قالوا لم يظهر في سوريا او في مصر رجل فرد يبز الرجال و يستظهر بعمله على الملوك والاقيال فانما الامة تموت برجل وتحيي برجل فارينا يا مصر او فاظهري ياسوريا هذا الرجل لنعبده ونقيم له هيكلاً اعلى من اهرام تشيوس وارفع من برج ايفل . نعم ان الامة تموت برجل وتحيي برجل فاننا اليوم يا ابناء مصر وسوريا في حاجة قصوى الى ذلك الرجل . فليكن كلكم ذلك الرجل المطلوب و يد الله مع الجماعة

ويتعين على هذا الضعيف العاجز ان يقول في الختام كلمته للجامعة الزهراء التي فتحت باب هذا المبحث المفيد وسالت الكتاب تشريع عوامل اقلامهم في انفع مطلب وافضل بحث. ان الجامعة مجلة لو كان في بلادنا عدة مجلات على طرازها لهبطت اسعار الجهالة وسقطت قيمة الدينار الذي الهه الغني في هذه الايام وراجت بضاعة العلم وبارت اسواق الزخارف والاباطيل فبارك الله فيها وبامثالها لان فوائد المجلات لا تقوم بثمن ورحم الله عبداً علم فعمل » « نجيب الجاويش »

« مع ان الجرائد العربية ارتقت لهجتها عن ذي قبل وما برحت آخذة في الارتقاء كل سنة لم يزل ينقصها شيء من الاصلاح لتضاهي جرائد الامم الراقية . يلزمها اولاً ان تسلم عبارتها من اللحن الذي لاتكاد تخلص منه جريدة ولا مجلة وثانياً ان يكون في الجرائد خصوصاً اليومية شيء من العلم مثل سائر الجرائد الاوروبية وكل ذلك لا يتاتى الا بكثرة ايدي العاملين في هذه الجرائد من علماء وادباء ومصححين ومحررين ومراسلين نعم ان ارباب الجرائد والمجلات وطابعي الكتب يشكون من قلة القراء وعدم اقبال القوم على بضائعهم حتى ان بعضها ما كانت تصدر لو لم ينفق عليها بعض الكبراء وتنتسب الى حزب من الاحزاب ولكن هذا الاصلاح الذي تتطلبه جرائدهم يتاتى بقليل من النفقات وشيء من العناية . وهذه الجرائد الكبرى والمجلات العلمية قد يستقل بها الواحد والاثنان مع انه ليس في اوربا واميركا مجلة او جريدة كبيرة الا ويعمل في تحريرها عشرات . واكبر الجرائد اليومية عندنا ليس فيها اكثر من ثلاثة محررين او اربعة

تحسن حال المجلات والجرائد الكبرى في مصر بالاستكثار من الرسائل المفيدة التي تكتب بروية وتنتج عن عقول نيرة فاذا فرض اربابها مثلاً لكل كاتب مقالة ادارية وسياسية جنيهاً واحداً او جنيهين ولكل كاتب مقالة علمية ثلاثة جنيهات او اربعة ترتقي احوال الصحافة ويزيد ولا شك عدد القراء على نسبة هذا التحسين . والشعوب مهما انحطت لايزال فيها بقية تميز الحسنات من السيئات .

اذا عمل ارباب الصحف بذلك يتمحض كثير من رجال العلم والادب للكتابة والتاليف وعندها يتوفر على محرري تلك الصحف اوقات طويلة يصرفونها في التدبر فيما يكتبون واذا كتب احدهم مقالة او مقالتين في الاسبوع فيكون قد وفى الغرض وقام بالواجب المفروض . ويختص كل محرر بالكتابة في فرع من فروع العلم او السياسة فيستفيد ويفيد

كما هو شان الكاتب الاوربي والاميركي ويخلص من الكتابة في كل موضوع والخبط والخلط في اكثر ما يكتب

ربما قيل ان هذا الاصلاح في الجرائد تحتاج كل جريدة ان تنفق عليه في السنة ضعف ما تنفقه الآن والصحيح ان بذل مئة او مئتي جنيه تكفي وتزيد مهما كانت حالة الجريدة وحجمها . وليت شعري لمَ لم تحذُ جرائد مصر حذو جرائد الاستانة على الاقل فان صحف الاستانة على ماهو معلوم من شدة الضغط عليها رائجة اكثر من صحف العاصمة . نعم يدل ذلك على ان القراء هناك كثروا لحاجةٍ الى الجرائد الوطنية اشد ولكن هذا لا ينافي ما تقدم ففي الجرائد التركية من المقالات الادبية والعلمية والصناعية والمقاطيع الشعرية والقصائد البديعة من اقلام الكتاب والعلماء ما لا تجد مثله في جرائدنا واكلاف الجريدة اليومية التركية تبلغ ثلاثة اضعاف الجريدة اليومية العربية في الغالب وهي تربح على هذه النسبة .

تصدر جريدة « اقدام » في عاصمة السلطنة كل يوم ويطبع منها عشرون الف نسخة وقلما تجد منها عدداً بعد صدورها بساعتين او ثلاث على الاكثر وكل هذه الاعداد تباع في العاصمة وهكذا قل عن سائر الجرائد التركية كصباح وترجمان حقيقت ومعلومات وغيرها . على حين ان جرائد مصر ترجع منها الاعداد الكثيرة لتحفظ في ادارتها في سلة سقط المتاع . ومادة العدد الواحد من الجريدة التركية تبلغ مواد ثلاثة اعداد من جرائدنا اليومية وتُباع النسخة منها بمتاليك واحد او بمليمين جيدة الطبع والورق . فما بال جرائدنا لا تقلد تلك الجرائد لتروج رواجها على ما يساعد عليه محيط البلاد

وانا لنرجو من ارباب الجرائد والمجلات الكبرى في القطران يضعوا هذا الاقتراح على بساط البحث ليخدموا بذلك اللغة والعلم ولا يبقوا صحفهم مقصورة على الترجمات والاماديح والدفاع والمطاعن حتى لا يقول لنا الافرنج اننا محتاجون ولغتنا الى الاصلاح فان جرائد اليونان من هذه الجهة انفع والحق يقال من الجرائد العربية على ان عددهم لا يبلغ خمس سكان عدد مصر . وهذا مما يسوءنا التصريح به ولكنها كلمة حق لا ينبغي السكوت عليها »

« الرائد المصري »

هذا ما اكتفينا بنشره في هذا الجزء بسبب ضيق المقام الا اننا سنوسع المجال في الجزء التالي لننشر كل مايردنا من حضرات الكتاب والقراء . اما حضرات الشعراء فنرجو بتتم ما كان شعراً

بلدان فلسطينية يصفها فلسطيني

لحضرة الكاتب الاديب سليم افندي قبعين في الناصرة

شاهدتُ بنفسي في اثناء تجولي في جميع انحاء سوريا كوكيل عام لجريدة المؤيد الغراء بان جميع محبي المطالعة متفقون على امر وهو سلامة ذوق الجامعة في نقل المقالات والكتب المفيدة البادية عليها آثار التعب والمشقة وانهم يقدرون خدمتها للعلم والادب حق قدرها. ومما اراه لها من المزايا التي خُصت بها انها تورد الصعب المستعصي الذي يشق فهمه مع بلاغته وسموه باسلوب بسيط سهل هو السهل الممتنع ومقالاتها تجعل في نفوس مطالعيها تاثيراً شديداً يرسخ في النفس ولا يزول ابداً

ومن هذه المقالات مقالات « رنان » التي يقرأها القراء من كل الطبقات بارتياح ولهفة يقصر القلم عن وصفها . وانني اشكُّ في ان قراء اللغة العربية اقبلوا قبل اليوم على مطالعة اية كتابة كانت كاقبالهم على مطالعة هذه المقالات

غير انني ارى اتماماً للفائدة ان اقرن كلام رنان بوصف الاماكن والبلاد التي يرد ذكرها في ابحاثه ولاسيما وصف حالتها الحاضرة وعليه اقول

﴿ بلاد الجليل ﴾ ان رنان لدى كلامه عن الجهات التي عاش فيها السيد المسيح ذكر عدة مرات بلاد الجليل وسماها بلاد الشمال ووصفها بجمال الطبيعة . وقد ذكر جهات اورشليم فوصفها بالجدب والقحط . والحق يقال ان من يعرف هذه البلاد يشهد بصحة هذا الكلام ولا يزال اهالي الجليل على ما وصفهم رنان من رقة الجانب ودماثة الاخلاق ومحبة الغريب واكرام الضيوف والانصباب في ابان الراحة على اللهو والمسرات . حدثني بعض شيوخهم انه منذ ثلاثين عاماً كان اهالي الجليل يقسمون السنة الى ثلاثة اقسام : اربعة اشهر للعيد . واربعة اشهر يقضونها في اللهو والمسرات والسفر الى حمامات طبريا وزيارة جبل ثابور وجبل الكرمل وغير ذلك حيث يقيمون الملاهي على ساق وقدم كما يحتفل المصريون بالموالد . واربعة اشهر للعمل . ذلك ان هذه البلاد جيدة التربة كثيرة المحصولات تدرّ على اهلها الخيرات الوافرة والنعم الجزيلة ولا يخفى ان سعة العيش تتطلب اللهو وعدم السعي الزائد لتحصيل الرزق . اما اورشليم فان جهاتها واراضيها جبلية عقيمة جرداء لاتنتج شيئاً ولذلك يجب على اهلها السعي الشديد لتحصيل الرزق واتخاذ الوسائل لتحصيله . ولم تزل

تلك البلاد تقتات بخيرات الجليل ومحصولاته وفي ايام الحصاد يتقاطر كثيرون من الرجال والنساء من جهات اورشليم ونابلس الى الجليل لتحصيل الرزق

﴿ قانا الجليل ﴾ اما قانا الجليل التي ذُكرت في كلام رنان فانها تُعرف اليوم بكفر قنا وهي واقعة على مسافة ساعة من شمال الناصرة ويبلغ عدد سكانها نحو ١٥٠٠ نفس وفيها عدة كنائس اشهرها كنيسة الطائفة الارثوذكسية وقد انشأتها الحكومة الروسية وارسلت ايقونوسطاسها واوانيها الفاخرة من روسيا واهدتها الى الطائفة . وقد احتفل بتدشينها احتفالاً شائقاً حضره صاحب السعادة المسيو فاسيلي ختروفو سكرتير الجمعية الفلسطينية ويعتقدون بانها قائمة على آثار البيت الذي صنع به السيد عجيبته الاولى وهي تحويل الماء الى خمر حسب نص الانجيل . ولا يزال في الكنيسة جرنان حجريان كبيران يؤكدون انهما من ايام المسيح . وفيها كنيسة اخرى لطائفة اللاتين يعتقدون انها قائمة على بيت سمعان القانوني احد تلاميذ المسيح وفي البلدة مدارس اجنبية ابتدائية

﴿ طبريا ﴾ ولقد اطال رنان بالكلام عن طبريا وجهاتها ووصفها وصفاً مطولاً فاكتفي بذكر حالتها الحاضرة . فهي بلدة قائمة على طرف بحيرة طبريا الى الجنوب الغربي تحيطها اسوار اخنى عليها الزمان فجعلها اطلالاً دارسة . ولم يزل قائماً فيها بعض الابراج المتهدمة . وشوارع هذه البلدة في غاية القذارة هذا اذا كان يجوز ان نسميها شوارع . وليس فيها ما يهم الالتفات اليه سوى خراباتها وذكرى حالتها القديمة وما كانت عليه من التقدم والحضارة وفخامة الابنية التي زينها بها مؤسسها هيرودس انتيبا قاتل يوحنا المعمدان الذي بناها باسم طيباريوس قيصر وجعلها عاصمة لملكه . وقد كانت طبريا في القديم مركز الحكمة اليهودية والسندريون اليهودي ووطن اشهر علمائهم وفي جملتهم الفيلسوف الاسرائيلي الشهير يهوذا واضع التلمود الذي عاش في اواسط القرن الثاني . اما اليوم فلم يبقَ فيها شيء من عظمتها الماضية واكثر سكانها هم من اليهود الذين يتقاطرون اليها من جميع اطراف المعمورة لاستيطانها ولهم فيها زيارة مشهورة يحتفلون بها في كل عام باحراق الامتعة ويسمونها " الشعلة " . وبالاجمال فان طبريا بلدة اسرائيلية ولذلك ترى جميع اسواقها مقفلة في يوم السبت . وقد ذكر رنان بان جهات طبريا كانت في ايام المسيح بلاداً غناء في غاية الخصب والنضارة وانه لم يبقَ منها شيء بعد ذلك حيث اصبحت قفراء صلعاء ذات هواء حار . اقول وهي لم تزل على هذه الحالة الى يومنا هذا غير ان جمعية الاستعمار الاسرائيلية ابتاعت

في جهات طبريا نحو ستين الف دونم ارض وشرعت تغرس الكروم وتنشئ الحدائق والاشجار المختلفة والابنية العديدة · ولا ريب انه لا تمر بضعة اعوام حتى تصبح جهات طبريا كما كانت عليه في ايام المسيح من النضارة والخصب وجودة المناخ ولطافة الهواء · وفي طبريا حمامات معدنية تفضل كثيراً حمامات حلوان وقد انشاء المرحوم ابرهيم باشا المصري في هذه الحمامات عدة غرف و بلط ارضها واحواضها بالمرمر · اما اهلها غير الاسرائيليين فانهم يتعاطون صيد السمك لوجوده بكثرة في بحيرة طبريا كما ذكر رنان · فكانهم ورثوا هذه الصناعة من الاسرائيليين الذين تقدموهم في هذه البلاد · وكان بودنا ان يتشبهوا بمواطنيهم الاسرائيليين الذين يستدرون اليوم خيرات الارض من طرق الزراعة لا بالاسرائيليين الاولين

هذا ما رايت كتابته في هذا الفصل وساتعقب الفيلسوف رنان لاصف لحضرات قراء الجامعة حالة الاماكن الفلسطينية التي ورد ذكرها في تاريخه رغبة في مزج الماضي بالحاضر مزجاً فيه تمام الفائدة والسلام

﴿ الجامعة ﴾ نشكر لحضرة الكاتب حسن ظنه بالجامعة وتفضله عليها بوصف حالة الاماكن الفلسطينية التي ورد ذكرها في كلام رنان · و يسرنا ان ننشر كل ما يكتبه بهذا الشان لاسيما واننا ننوي ضم هذه الفصول الى الكتاب الذي يطلبه القراء من كل الجهات

﴿ جمع كتاب رنان على حدة ﴾

كتاب فريد

ذلك ان كثيرين من القراء بعثوا يقترحون علينا جمع ما نشرته الجامعة من اقوال رنان على حدة فترددنا في بدء الامر لان الكتاب منشور في الجامعة ولدينا كتب لم ننشرها بعد ولكن لم يلبث ان زال ترددنا لعزمنا على اضافة اشياء كثيرة اليه تجعله كتاباً فريداً في اللغة العربية

٤٠ او ٥٠ رسماً — واول تلك الاضافات ٤٠ او ٥٠ رسماً كالرسم المنشور في صدر باب المقالات في هذا الجزء · فانه من المعلوم ان اشهر مشاهير المصورين في العالم كرفاييل ودافيد و رمبران وميشل انج وغيرهم قد صرفوا نصف مواهبهم تقريباً في تصوير حوادث المسيح من ولادته حتى صلبه وقيامته ولهم في ذلك صور تباع اليوم الواحدة من نسخها الاصلية بعشرة

الاف جنيه او عشرين الفاً . فرغبة في اتمام الفائدة سعينا في استنساخ بعض تلك الصور التي تمثل المسيح في جميع ادوار حياته وسننشرها في هذا الكتاب على ورق جيد جداً كما صنعنا باحداها في هذا الجزء

تتمة صلب المسيح والقيامة — وسنضم الى هذا الكتاب تتمة كلام رنان عن نزول السيد عن الصليب وتفاصيل القيامة وهي ٥ او ٨ فصول . اما الجامعة فانها تبتدىء في الجزء التالي بتلخيص الكتاب الثاني من كتب رنان وهو انشاء التلامذة الكنيسة الاولى في اورشليم وطريقة انتشار الديانة المسيحية بعد السيد والاضطهادات التي اصابتها وسفر تلامذته الى اقطار الارض للبشارة بالكلمة فان في ذلك تاريخاً مسهباً لنشأة الديانة المسيحية وحوادث العالم في ذلك الزمان ولا سيما سوريا وفلسطين وما تلا ذلك من خراب اورشليم وسقوط الدولة الرومانية

سياحتان — ولقد زرنا اورشليم وما حولها مرتين المرة الاولى منذ ١٤ عاماً والمرة الثانية منذ ٨ اعوام وكتبنا اخيراً تفصيل هاتين الزيارتين وما شاهدناه فيهما من جمال الطبيعة هناك ولطف اخلاق السكان وتعدد الاماكن المقدسة وسنضيف هذا الى ذاك ايضاً

اضافات اخرى — ثم نضيف اليه اضافات اخرى كثيرة كترجمة المؤلف الفيلسوف رنان ورسمه . واقوال مؤرخي العرب عن حوادث السيد المسيح . ورسوم اشهر الاماكن التي يزورها اليوم المسيحيون في اورشليم والناصرة وغيرها . وكل ما يتعلق بالحرم الشريف ورسومه

ولا شبهة عندنا في انه لا يبقى احد من محبي المطالعة واقتناء نفائس الكتب الا ويطلب هذا الكتاب سواء كان من المسيحيين وغير المسيحيين لان جميع مواضيعه تاريخية محضة . وسنطبعه بقطع الجامعة على ورق جيد جداً اجود من ورقها ولا سيما الرسوم ويكون طبعه اتقن من طبعها وربما كان حجمه بقدر اربعة اجزاء منها . اما ثمن النسخة الواحدة منه فهو عشرة غروش صاغ فقط تُدفع بعد صدور الكتاب

فبناء عليه نرجو من حضرات القراء الذين يرومون الحصول على هذا الكتاب ان يبلغونا اسماءهم فقط لنعلم عدد النسخ التي يجب طبعها منه . ويكفي في الطلب كارت صغيرة عليها هذه العبارة « قيدوا اسمي بين اسماء طالبي كتاب رنان الذي سيصدر بعد ٣ اشهر » وعلى الله الاتكال

مراسلات بين بنات شرقيات

(لا يجوز أن تقرأها الا القارئات)

« من الحدث في جبة بشراي في اعالي لبنان

« عزيزتي تبريزه

« اكتب اليكِ بسرعة زائدة لاسألك عن امر شغل بالي . وهو انني سمعت ان (مجلة الجامعة) باذلة جهدها لاخذ نسخ المكاتبات الكثيرة التي دارت بيني وبين صديقتنا العزيزة (المدموازل سليمة) في مصر القاهرة لتنشرها في بعض اجزائها . فهل هذا صحيح ؟ ارجوكِ ثم ارجوك ان تستخبري عن ذلك ليطمئن بالي . ولم اسأل عزيزتنا سليمة هذا السؤال لانني اخاف ان يكون الخبر الذي بلغني كاذباً فتنسب اليَّ صديقتي سوء الظن بها. فاستحلفك بصداقتنا ان لا تهملي ذلك . وانا انتظر جوابك بصبر فارغ لانني اخشى ان يكون الخبر صحيحاً . واذا كان صحيحاً لا سمح الله فارجوك غاية الرجاء ان تتوسطي لدى صديقتنا وتقولي لها ان عملها مخل بالصداقة .... وبالادب ايضاً . ولكن لماذا الومها يا رباه قبل معرفة الحقيقة . لا تؤاخذيني فانني اقول هذا الكلام لشدة استيائي من هذا الامر . فانني لما كتبت لسليمة كتبتُ لها كصديقة تقول لصديقتها كل ما يخطر في بالها لا ككاتبة تزن كلماتها علماً بانها ستنشر في المجلات والجرائد . فانني تكلمت معها عن واجبات الابنة قبل الزواج وواجباتها بعده وعن رفيقاتنا البنات اللواتي لا يعشن الا للموضة واحوالها وعن شبان هذا الزمان وما لاحظته من بعضهم في المجتمعات الاعتيادية والعمومية وعن خطيب فريدة وزوج سلمى واخي ليا ... وغير ذلك مما اضرب الآن صفحاً عن ذكره من احوال حالتنا الحاضرة التي تعرفين افكاري بشانها . فهل يليق ان تُنشر اقوال كهذه الاقوال عن لسان ابنة . وحياتك انني منذ الآن اذوب خجلاً لدى ذكري ذلك. فعجلي وطمني بالي فانني منتظرة جوابك

« صديقتك كليمه »

« من الاسكندرية الى الحدث في لبنان

« صديقتي كليمه

« قرات كتابك وقد كنت اتوقع حدوث هذا الامر . لانني منذ مدة سمعتُ بان الجامعة علمتْ بوجود مراسلات عديدة تدور بين بعض من فتيات مصر وسوريا فسعت في السر للحصول على كتاب منها ولما حصلتْ عليه واطلعت على موضوعه رامت الحصول على جميع تلك المراسلات . فعهدت في السر الى اخي اديب ان يدبر لها هذه المسالة فجاء اخي وسالني عنها ولم اكن اعرف قصده فاعترفتُ له باننا نحن عدة من البنات درسنا في مدرسة واحدة وقد الفنا من بعضنا جمعيـة في داخل مصر وخارجها لنكتب الى بعضنا البعض ما نستحسنه وما نستهجنه من الاشياء التي نشاهدها والاشخاص التي نعرفها فضلاً عن وصف الاماكن التي نعيش فيها . وغرضنا من ذلك ممارسة الكتابة وقطع الوقت في شيء فيه فائدة . فقال اخي وهل يرضي رفيقاتك بنشر ما تعبن في كتابته . فاجفلتُ عند هذا السؤال وقلت له لا لا . فقال سنرى . ثم اتفق انه سافر الى القاهرة و بعد عودته منها اخبرني انه اقنع صديقتنا المدموازل سليمه بتسليمه كل الرسائل التي لديها منكِ ومني ومن رفيقاتنا وقد دفعتها اليه بحجة انه يطلبها من قبلي . فلا تستائي ياعزيزتي فان ما جرى قد جرى وقد صرنا في عصر لا نستطيع فيه ان نردّ للصحافيين طلباً . ومع ذلك فان الجامعة ابتاعت تلك الرسائل بمبلغ غير قليل ووُهب هذا المبلغ الى احدى الجمعيات الخيرية وهذا يسلينا قليلاً

غير انني لم افهم السبب الذي من اجله اظهرتِ ذلك الاستياء العظيم . فان كان ذلك خوفاً من ظهور اسمك فقد تعهدت المجلة بان تكتم اسماءنا كلنا وتدل عليها باسماء تستعيرها . وان كان ذلك خوفاً من نشر افكارك فاللوم عليك لانه يجب ان لا تكتبي شيئاً تخجلين من نشره . ومع ذلك فقد ابلغتني المجلة ايضاً انها تضمن لنا انه لا يطلع احد من الرجال على رسائلنا لانها ستكتب فوقها « لا يجوز ان يقراها الا القارئات » ولا يخفى عليك ان حضرات الرجال حريصون على مراعاة كل نظام ... وفضلاً عن هذا وهذا فانني اعلم ان قلمك اللطيف لا يخط شيئاً يُخجل منه

وقد كتبتُ اخيراً الى صديقتنا سليمه فاجابتني انها كتبت اليك أيضا . واختم جوابي هذا بتقبيل وجناتك « صديقتك تبريزه »

حاشية . اخبركِ ان الجامعة لا تبدأ بنشر الرسائل الا في الجزء السابع

« من مصر القاهرة الى الحدث

« عزيزتي كليمه

« اظنك تبكين متى علمتِ ان رسائلنا ستنشر بين الناس وتتناولها الايدي في كل مكان في مصر والشام واميركا واقاصي الكرة الارضية واما انا فان ذلك يضحكني و يسرني لانني ابخل بتلك الرسائل الجميلة التي تعبنا فيها ان تبقى مطوية في خزائننا. وانما اخبرك انني ابقيتُ لديَّ كتابين منك لانني لا اريد اخراجها من يدي الا بعد استئذانك . (هنا تضحكين وتقولين لماذالم استاذنك في الباقي ولكن ما عليش على راي اخواننا المصريين) وانتِ تعرفين هذين الكتابين فهل امزقهما ام اضمهما الى الكتب الاخرى . واما الرسائل التي خرجت من يدي فهذا عددها — ١٠ كتب منكِ و٥ من صديقتنا تبريزه في الاسكندرية و١٠ مني كنتُ ارسلتها الى صديقاتنا و١٠ من صديقتنا خديجه في القاهرة ايضاً و٥ من لميا في يافا و١٠ من ايفا في بيروت و٥ من دلال في اللاذقية و٥ من عليا في دمشق الشام و٥ من اميرة في مرسين و٨ من نبيهة في طرابلس و٣ من صديقتنا التركية عصمت في اضاليا و٥ من ادال في القدس و٣ من الاستانة و٥ من البرازيل و٤ من الولايات المتحدة . ولكني لا اكتم عنك ان هذه المجموعة تكون ناقصة اذا لم تُضم اليها رسائل صديقاتنا في البلاد الاخرى وقد عُهد اليَّ استحضارها فكتبت الى رفيقاتنا اسالهن نسخها

هذا واذا كنتِ مستاءة الآن فان صدرك سينشرح حين نشر هذه الرسائل التي هي عبارة عن نفوس لطيفة ذائبة فيها كما يذوب السكر في الماء . وفي الختام اقبل وجناتك

« صديقتك سليمه »

حاشية . الراجح ان المجلة لا تبدأ بنشر الرسائل الا في الجزء السابع . وستكون متلسلسة في اجزاء كثيرة فهيئي نفسك لقراءتها

تلغراف من الحدث عن طريق طرابلس الشام الى مصر القاهرة

المدموازل سليمه

احرقي الكتابين حالاً . سامحك الله على عملك

« كليمه »

الماسونية وغرضها

(ملزمة الرواية في هذا الجزء الصفحة ٧١ و٧٦)

كان الناس يستغربون سكوت الجمعيات الماسونية عن حرب الترنسفال اشد استغراب لان شعار هذه الجمعيات « الاخاء والحرية والمساواة » فلم يلبث محفل الشرق الكبير في باريز ان نشر منشورًا ينكر فيه هذه الحرب ويظهر ميله الى البوير . ومما قاله في منشوره ان مصارعة انكلترا والترنسفال تُذكر الناس بمصارعة جليات وداوود . ثم سال المسيحيين في العالم الجديد والقديم على سبيل التعجيز : ما رايهم في الحرب ولماذا لا يتوسطون لايقافها

وقد حذا محفل سويسره الكبير حذو محفل الشرق الباريزي فاذاع منشورًا على الماسونيين في كل اقطار الارض ماله الاحتجاج على هذه الحرب وعلى الفظائع التي حدثت فيها من احراق المزارع وحصر النساء والاولاد في ملاجئ موبوءة . فردَّ محفل لندن على محفل سويسره بناءً على امر جلالة الملك ادوار نفسه فقال ان قواد الانكليز لا يالون جهدًا في الرفق بالبوير اما ملاجئ النساء والاولاد فقد اقيمت للعناية بهم وقد سال الانكليز القائدين دي ويت و بوتا اذا كانا يرومان اعانة نساء البوير واولادهم ليطلقوا سراحهم فرفضا الاهتمام بهذا الامر . وغني عن البيان ان جلالة الملك ادوار لم يهتم بشكوى الماسونيين ولم يسعَ باقناعهم ببراءة جيشه الا لاحترامه آراءهم لانه كان رئيس المحافل الماسونية الانكليزية قبل ارتقائه الى العرش الانكليزي

ويرى القراء في ملزمة الرواية في هذا الجزء (الصفحة ٧١ و٧٦) كلامًا مسهبًا عن الماسونية واجتماعاتها وطريقة دخول الاعضاء فيها وتفسير الكلمات الثلاث التي اتخذتها شعارًا لها وهي « الحرية والاخاء والمساواة » . وقد نقلنا ذلك عن اسكندر دياس كما كتبه دون تصرف فيه ولذلك نترك عهدته اليه . ولا يعرف القارئ حين تلاوته تلك الاقوال اذا كان مؤلفها يكتب ما يكتبه مستحسنًا او مستهجنًا

اما الكونت كاليوسترو الذي يرئس الجلسة في ذلك الاحتفال ويلقي تلك الخطب الثلاث ليفسر كلمات الماسونية فهو رجل غريب الاطوار كما تقدم وصفه . وقد كان له في اوربا في اواخر القرن الثامن عشر شان عظيم . وقد اختلفت الاقوال في نشأته . على انه

كان يزعم انه ولد في مالطة او في المدينة وانه ساح في تركيا والنمسا وجزائر الارخبيل وآسيا وافريقيا فلم يترك بقعة من الارض حتى داسها وعرف اخلاق سكانها . وكان يزعم معرفة الغيب ويدعي انه اكتشف سر تحويل المعادن الى ذهب ولذلك كان ينثر الذهب نثرًا في البلاد التي كان يسوح فيها . وقد عظمت شهرته في آخر ايامه وخشيه الناس حتى العظماء وخصوصًا النساء فانهن كنَّ يحسبنه الهًا لشدة تسلطه عليهن وخوفهن من افشائه اسرارهن . وكان يقول انه يجعل كل فتاة عذراء تقرأ المستقبل من نظرها الى زجاجة ماء يريها اياها . وقد كان صديقًا حميمًا للكردينال روهان الذي كان يثق بقوته ومن اجل ذلك اتهم بمسألة «عقد الملكة» كما فصلنا ذلك في ما تقدم وحُكم عليه بالسجن ثم بالنفي من فرنسا . وكانت الملكة ماري انطوانت تخشى شره وتريد بُعده . واكثر المحققين على ان هذا الرجل مشعوذ كبير يتلاعب بعقول الناس ويدجل عليهم . اما ديماس فانه يجعله رجلاً قويًا كما ترى في هذا الفصل والفصول الغريبة التي تتلوه واحيانًا يسميه نابغة من نوابغ الزمان . وقد كان كاليوسترو يتاجر بالماسونية اي انه كان يتخذها لقضاء اغراضه . ولما كان يقول عن الملوك «اننا نسقطهم» فقد كان يعني بقوله هذا نفسه والماسونيين رفاقه . وقد انشاء في باريز حوالى سنة ١٧٨٤ لوجًا ماسونيًا سماه «اللوج المصري» وجعل فيه لقب «القبطي العظيم» مكان لقب «المحترم» ثم انشأ لوجًا آخر سماه لوج «ايزيس» كان خاصًا بالنساء وكان في جملة الداخلات فيه مدام جنليس والكونتة بريين ومدام شرلوت دي بولينياك من عائلة بولينياك الشهيرة وغيرهن . وكان اللوج المصري تحت رعاية الدوق دي لكسمبورج . ولميرابو رسائل يصف فيها اخلاق هذا الرجل وقد الف كثيرون كتبًا في هذا الموضوع ايضًا

الاحباش والاقباط

سبب اتباع الحبشة الاقباط . يد للحبشة عند المسلمين الاولين . كتاب منليك الى بطريرك الاقباط . تمدن الاقباط القديم والحديث . اورطة نابوليون القبطية في مصر

نشرنا في الجزء السادس عشر من السنة الاولى تاريخ نشأة الحبشة وترجمة النجاشي منليك واخبار حروبه وتغلبه على نجل الملك يوحنا (الراس منغاشيا) الذي كان عرش الحبشة من حقه واخلاق الاحباش وعاداتهم وديانتهم وغير ذلك مما تحسن مراجعته قبل



﴿ النجاشي منليك سلطان الحبشة ﴾

مطالعة الفصل التالي . وقد راينا كتابة هذا الفصل بمناسبة قدوم سيادة الانبا متاؤوس رئيس اساقفة الحبشة الى مصر لزيارة وطنه الذي فارقه منذ اكثر من ٢٠ عاماً فنقول

﴿ المسيحية في الحبشة وسبب اتباعها للاقباط ﴾ دخلت المسيحية الى الحبشة في القرن الرابع بعد المسيح . وذلك ان شابين سوريين من شواطىء فينيقيه كانا مسافرين في البحر الاحمر في عام ٣٣٠ بعد الميلاد فغرقت بهما السفينة فنزلا في افريقيا في شاطىء الحبشة . وكان احدهما يُدعى « فرومنس » والثاني « اديسيوس » وكانا مسيحيين . فلما مثلا لدى ملك الحبشة في بلاطه في اكسوم اطلعاه على الديانة المسيحية فمال اليها الملك واعتنقها هو وشعبه . وكان هذان الشابان عالمين بوجود كرسي بطريركي في الاسكندرية وكان البطريرك يومئذ يُدعى اثناسيوس فنزل فرومنس الى الاسكندرية وطلب من البطريرك اثناسيوس ان يجعله مطراناً للحبشة فرضي البطريرك بذلك وهذا سبب اتباع الاحباش الكرسي القبطي الاسكندري . ثم نبغ في الحبشة عدة وعاظ وزهاد يسميهم الاحباش « قديسين » وفي جملتهم اراغاوي وغريمه وسهاما وليكانوس وكوبها وتكلاها يمانوت وهو اشهرهم جميعاً . وقد اصلح هذا الرجل الاديار الحبشية وخالط كل رهبانها وكهنتها فثبت له ان الحبشي غير اهل لادارة شؤونه الدينية ولذلك قضى بوجوب جعل رئيس الكهنة في الحبشة من الاقباط لا من الاحباش . ولا يزالون على هذه العادة الى هذه الايام . وهم يسمون هذا الرئيس « ابونا » وهو اليوم سيادة الانبا متاؤوس الذي سبق ذكره وهو قبطي كما تقدم . فشان اخواننا الاقباط في الحبشة شان اليونان في كرسي انطاكية الارثوذكسي قبل خروجهم منه

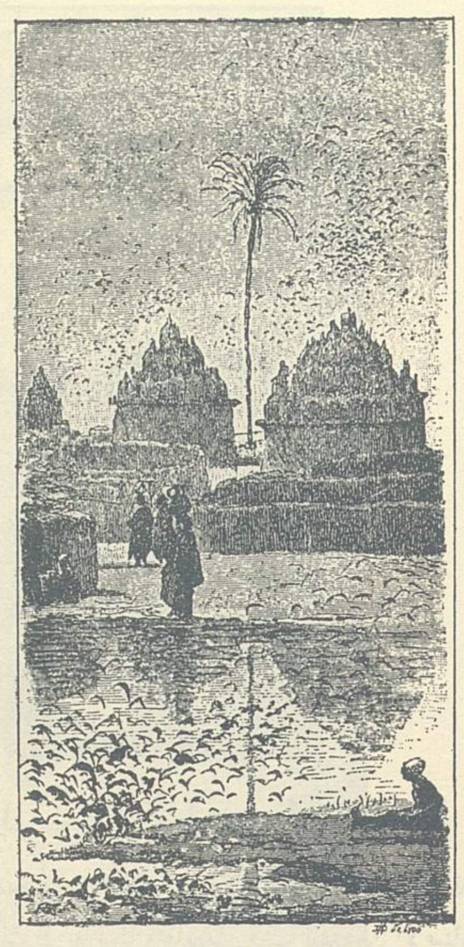
وللحبشة مأثرة جليلة في التاريخ الاسلامي وهي حمايتها المسلمين الاولين الذين هاجروا



﴿ دير في الحبشة ﴾

من مكة اليها فرارًا من الاضطهاد قبل غلبة الاسلام . وقد حفظ المسلمون لهم هذا الجميل فلم يغزوا بلادهم ولم يتحرشوا بهم قبل امتداد سلطتهم الى افريقيا . ولكنهم لما تاخموهم في افريقيا احتكت مصالح الفريقين فقام المسلمون عليهم فلجات الحبشة في القرن السادس عشر الى البورتغال وكانت دولة كبيرة فانفذ اليها البورتغاليون عدة من الاباء اليسوعيين لربط الكنيسة الحبشية بكنيسة رومه فلم يفلح سعيهم ثم دخل اليها الانجيليون فالقى الامبراطور ثيودورس القبض عليهم وسجنهم مع السفير الانكليزي . فثار خاطر انكلترا عليه وحاربته في سنة ١٨٦٨ . ومن ذلك يظهر ان الاحباش قوم شديدو التمسك بتقاليدهم

﴿ الاسلام في الحبشة ﴾ اما ما تقدم ذكره من صنع الحبشة مع المسلمين في بدء ظهور الاسلام فاليك تفصيله نقلاً عن مؤرخي العرب


قرية حبشية على نهر

لما ذاق المسلمون الاولون من قريش عذاب الاضطهاد في مكة هاجروا منها الى الحبشة وبقي صاحب الشريعة الاسلامية في مكة يدعو الى الاسلام سرًّا وجهرًا . فكانت اول هجرة في الاسلام . وكان عدد المهاجرين « تمام عشرة رجال — وقيل احد عشر رجلاً واربع نسوة وكان مسيرهم في رجب سنة خمس من النبوة وهي السنة الثانية من اظهار الدعوة » فاقاموا في الحبشة شعبان ورمضان ولما كان شهر شوال بلغهم ان قريشاً قد آمنت ودخلت في الاسلام فعادوا الى مكة ولكنهم لما قربوا منها سمعوا ان اسلام قريش باطل فعاد بعضهم الى الحبشة ودخل بعضهم مستخفين او بجوار . ثم تتابع المسلمون الى الحبشة حتى بلغ عددهم فيها ٨٢ رجلاً . فالظاهر ان قريشاً خافت استفحال امرهم واطمئنانهم هناك فبعثت الى النجاشي عمرو بن العاص (فاتح مصر) وعبد الله ابن ابي امية ومعهما هدية اليه والى اعيان قومه .

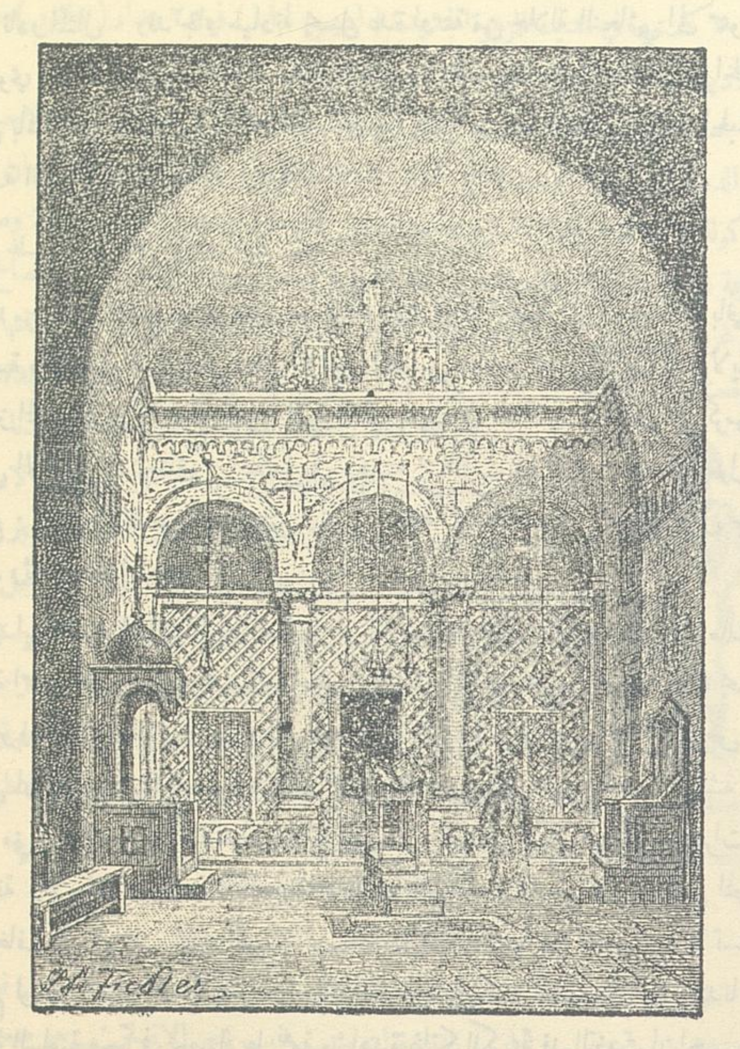
ولما وصل الرسولان الى الحبشة اختليا ببعض من الاعيان وقالا لهم « ان ناساً من سفهائنا فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دين الملك (اي النجاشي) وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا انتم وقد ارسلنا اشراف قومنا الى الملك ليردهم اليهم فاذا كلمنا الملك فيهم فاشيروا عليه بان يرسلهم معنا » فوعدها الاحباش خيرًا . ثم انهما حضرا عند النجاشي وطلبا منه ذلك الطلب فاشارت عليه حاشيته برد المسلمين الى قومهم . فدعا النجاشي المسلمين اللاجئين وسالهم عن دينهم فاجابه عنهم جعفر بن ابي طالب بهذا الكلام الجميل « ايها الملك كنا اهل جاهلية نعبد الاصنام وناكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الارحام



﴿ غبطة البطريرك كيرلس بطريرك الاقباط المحترم ﴾

ونسيء الجوار و ياكل القوي منا الضعيف حتى بعث الله الينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفافه فدعانا لتوحيد الله وان لا نشرك به شيئًا ونخلع ما كنا نعبد من الاصنام وامر بصدق الحديث واداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور واكل مال اليتيم وامرنا بالصلاة والصيام فآمنا به وصدقناه فتعدى علينا قومنا وعذبونا ليردونا الى عبادة الاوثان فلما قهرونا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك » فقال النجاشي « هل معكم مما جاء به عن الله شيء » فقال « نعم ثم قرأ عليه اسطرًا من كهيعص فقال النجاشي ان هذا والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة . انطلقا والله لا اسلمهم اليكما ابدًا »

وغير بعيد ان يكون في هذا الحديث زيادة او نقصان من حيث التاريخ ولكن لا شبهة في ان روحه تدل على صحة اصله



﴿ داخل كنيسة الاقباط في القاهرة ﴾

وقد كنا نتمنى ان تلك المبادىء الشريفة المبنية على حماية حرية الفكر والتساهل تبقى محفوظة في الحبشة لان الكتاب يروون عن سوء معاملة الاحباش في بلادهم لمن لم يكن على مذهبهم ولا سيما المسلمين روايات غريبة يصعب تصديقها

﴿ مقدم سيادة الانبا متاؤوس وكتاب من منليك ﴾ اما مقدم سيادة الانبا متاؤوس رئيس اساقفة الحبشة الى مصر فقد احتفلت به الامة القبطية الكريمة احتفالاً

عظيماً نادر المثال . وقد جاء سيادته يحمل عدة اوسمة من جلالة النجاشي الى سمو الجناب الخديوي وغبطة بطريرك الاقباط وعطوفة رئيس النظار وصاحبي السعادة ناظر الخارجية وقليني باشا فهمي وغيرهم من اكابر المصريين . وكتاباً من خط النجاشي باللغة الحبشية الى غبطة البطريرك المحترم هذه ترجمته

غلب الاسد الخارج من سبط يهوذا

« من منليك الثاني الذي صار بنعمة الله ملك ملوك الحبشة الى السيد الطوباني الكلي القداسة والاحترام الذي دعي لتعليم الانجيل المقدس . عامود الدين الثابت الذي لا يتزعزع . الكنز المختار الذي لا يسلبه لص . النور الذي يضيء في الظلام . الجالس على كرسي مارى مرقص الانجيلي باستحقاق . الكامل في رهبنته . الثابت في ايمانه . عبد ورسول يسوع المسيح . الاب الاقدس انبا كيرلس رئيس اساقفة الاسكندرية والحبشة وكل جهاتها دامت رئاسته علينا امين

« ايها السيد الجليل والحبر العظيم — انا منليك الثاني الذي جعلني الله ملك ملوك الحبشة اسجد تحت موطىء قدميك واطلب بركتك الشاملة جميع الخليقة واني بحمد الله في خير وعافية بنعمة الرب يسوع المسيح وطهارة السيدة مريم العذراء . ثم اعرض لمقامك السامي ان قداسة ابينا السيد الطوباني الانبا متاؤوس راعي نفوس شعب الحبشة المبارك طلب مني اكثر من مرة الترخيص لجنابه بالنزول الى مصر لزيارة غبطتكم وحضرات الاباء المطارنة والاساقفة ورؤساء الاديرة القبطية وباقي الشعب القبطي الارثوذكسي المحبوب . وغير خاف على شريف علمك المنيف ان تقاليدنا القديمة وعوائدنا الخصوصية لا تساعد على التسليم لرئيس احبار الحبشة بمبارحتها ولكن بالنظر لما لقداسة الانبا متاؤوس عندنا من المكانة السامية وحباً في حصوله على نعمة مشاهدة ذاتكم الكريمة قد التزمت ان اجيب سيادته الى ما طلب وكلفته بان ينوب عني في الاعراب لقداستكم عما يكنه ضميري من الميل الزائد لمشاهدة طلعتكم المنيرة ومحبتي الخالصة لابويتكم الفخيمة وباقي حضرات الرؤساء المكرمين وسائر اولادكم الاعزاء المباركين . واملي ان يعود الينا جنابه قريباً حاملاً البركات الرسولية الينا من قبل قداستكم . وفي الختام التمس من غبطتكم ان تمدونا دائماً بصلواتكم الطاهرة لكي يمتعنا الرب القدوس نحن واهل بيتنا الملوكي وقوادنا وجيوشنا وسائر افراد رعايانا الامناء برعايته العلوية وبركاته السماوية امين

«كتب في مدينة الزهرة الجديدة (اديس ابابا) في ٢٥ هدار (هاتور) سنة ١٨٩٤ ميلادية حبشية الموافقة سنة ١٩٠١ غربية»

هذه رسالة منليك . ومنها يظهر سمو مقام غبطة البطريرك لدى دولة الاحباش التي هي الدولة الافريقية الوحيدة التي تحفظ استقلالها في افريقيا لاعتبار التاريخ ان مراكش ماكولة لا محالة . واذا تمَّ خروج الحبشة من حالة البداوة الى الحضارة التامة وصارت دولة عظيمة في افريقيا فان مقام البطريركية القبطية يصير مزدحماً للدول ذات المصالح فيها . ولا غرو ان يتمّ هذا الامر فان الامة القبطية القديمة انتبهت من سباتها منذ زمن ونهضت نهضة يحق لها ان تفتخر بها . واذا استمرت في سبيل التقدم فانها ستعيد قديم مجدها

هذا و بعد كتابة ما تقدم عثرنا على رسم صغير فوجدنا من الفائدة والفكاهة ان نجعله تتمة لهذا الفصل . وذلك ان نابوليون الاول لما قدم بجيشه الى مصر احتاج الى جندوطني فانشاء القائد كليبر احد قواده اورطة من الاقباط . وكان عدد هذه الاورطة ٦٠٠ رجل من خيار الرجال الاشداء . وقد جعل كليبر لباسهم كلباس الجنود الفرنسوية وذكرهم بالثناء غير مرة . واليك رسم احدهم في هذا الفصل . وربما أتينا في فصل آخر على ما يهم الاطلاع عليه من تاريخ الامة القبطية والحوادث التاريخية الدينية الكبرى التي حدثت بينها وبين كرسي القسطنطينية وكرسي رومه مما له اشد علاقة بتاريخ مصر الحديث

﴿ جندي قبطي ﴾

الميكروب سبب شيب الشعر

نشر العالم متشنيكوف المشهور مقالة بشان شيب الشعر كان لها وقع شديد في نوادي العلم . فقد قال انه تحقق من تجارب عديدة ان سبب شيب شعر الانسان هو صعود ميكروب خصوصي من جلد الراس الى الشعرة واكله كل ما فيها من الداخل حتى يجوفها فمتى جوفها صارت بيضاء . واحياناً يُصاب الانسان بخوف عظيم او حزن عظيم فيشيب راسه في ليلة واحدة وسبب ذلك هياج دمه الى حد تثور عنده كل ميكروبات الشعر من مكامنها فتخرج الى الشعر وتجوفه في ليلة واحدة . ثم قال انه اذا تمكن من قتل هذا الميكروب استطاع منع الشيب على الاطلاق ولو بلغ الانسان مائة سنة . وهي بشرى للذين يصبغون شعورهم وخبر سيء للذين يحبون جلال الشيب في الشيوخ

باب تدبير الصحة

راديكا ودوديكا

توأمان هنديان وعملية فصلهما في هذا الشهر



في باريز ملهى مشهور يسمونه ملهى « بارنوم » يعرضون فيه على الناس كثيرًا من غرائب المخلوقات . ففيه امرأة بلحية طويلة كلحى الرجال ورجل هندي من متخلفات المجاعة في الهند ليس فيه لحم ودم تقريبًا بل هو عبارة عن هيكل من عظام . وفي جملة هذه الغرائب فتاتان صغيرتان بالغتان من العمر ثمانية اعوام واصلهما من الهند واسم الواحدة « راديكا » والثانية « دوديكا » وهما ملتصقتان من جهة الصدر اتصالاً خلقيًا كما ترى في الرسم

ولتمام نحس هاتين الفتاتين المسكينتين اصيبتا بداء السل لسوء معيشتهما واشتد هذا

الداء على « دوديكا » حتى خيف من وفاتها ووفاة اختها معها . ولذلك راى الدكتور « دوين » في باريز ان يفصلها الواحده عن الاخرى بعملية جراحية

وقد قصّ الدكتور دوين في الجرائد تفصيل هذه العملية الغريبة فقال: انه عمل هذه العملية في ٢٠ دقيقة وكان يساعده واحد من الجراحين . اما الدم الذي جرى من الجرح في اثناء العمل فانه لا يتجاوز ٢٠ او ٣٠ غراماً . ولم يربط ربطاً صناعياً لكل واحدة من الاختين سوى شريانين عند العملية . ذلك لان الاتصال بين الاختين كائن على طريق الجلد والانسجة التي تحته دون الاعضاء الداخلية . ولما تم الانفصال وحُملت كل واحدة الى مائدة انتبهت الاختان معاً وقالتا « اشعر بالم في صدري » ثم اردفتا بدهشة « آه لقد فصلونا » . وكان نبض راديكا في تلك الساعة ٤٨ نبضة في الدقيقة ونبض دوديكا ١١٦ نبضة . اما نبضهما قبل العملية فقد كان ٩٠ لروديكا و١٣٠ لدوديكا . وكانت حرارتهما قبل العملية ٣٧ و٥ لراديكا و٣٩ لدوديكا . واما حرارتهما بعد العملية فقد كانت ٣٧ و٢ للاثنتين . ولما استراحتا في المساء طابتا لعبتهما . وجاءهما القزم الذي كان رفيقهما في ملهى بارنوم فاضحكهما بنكاته . وبالجملة فان كل شيء يدل على نجاح هذه العملية الغريبة وقد وردت الجرائد الاخيرة تُخبر عن سلامة الاختين . فاذا تحققتْ نجاتهما من خطر الفصل وجب ان يصرف الدكتور دوين اهتمامه الى انقاذهما من خطر السل ايضاً

ولقد طيرت هذه العملية اسم الدكتور « دوين » في جميع اقطار العالم وانصبت عليه الاقلام والالسنة الباريزية تداعبه مداعبة لطيفة . ومن ذلك ما كتبه بعضهم اذ قال : « كانت فلانة في قاعة فلانة فقالت ان المسيو الفريد ومدام الفريد زوجان متحابان متفقان كانهما جسد واحد . فاجابتها فلانة : ابعثوهما اذًا الى الدكتور دوين لفصلهما في الحال »

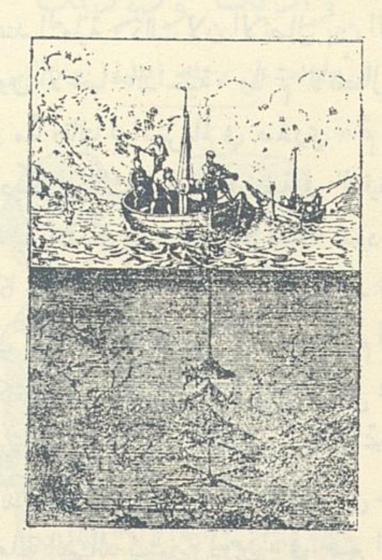
﴿ جمال وجوه السيدات ﴾

ازالة الغضون اي التجعيد

وصف احد الاطباء الانكليز لازالة الغضون من وجه الحسناء التي دخل جمالها في الكهولة الوصفة الآتية : ثلاثة غرامات ونصف من زيت اللوز الحلو و٧ غرامات من دهن الكوكاو و٥٦ غراماً من اللانولين و٣ غرامات ونصف من الغليسرين و٣ نقط من روح الورد تُمزج معاً ويُدهن الوجه من هذا المزيج في كل ليلة قبل النوم فيكسبه جمالاً ويمحو الغضون منه

باب الاخبار العلميّة

المرجان وصيده



﴿ زورق يصطاد المرجان في البحر الاحمر ﴾

ذكرت الجرائد المحلية ان الجناب الخديوي انفذ الى بعض الجزر في البحر الاحمر احد العارفين بالحجارة الثمينة كالزبرجد واللؤلوء والمرجان ليستعلم عن وجود هذه الحجارة في تلك الجزر . وبهذه المناسبة نذكر شيئاً عن المرجان ووظيفته وصيده فنقول

للمرجان — هذه الحبوب الثمينة التي يتخذ منها اكابر المسلمين مسابح والتي يتخذها بعض النساء عقوداً وتدخل في كثير من شوون الزينة النسائية — شان عظيم في العلم . وربما دهش النساء والرجال اذا قيل لهم انها من اصل بحري وانها بيوت حيوان صغير يبنيها ليعيش فيها في قعر البحر وعلى سطحه . واحياناً تتالف منها شجيرات طول الواحدة شبر او قدم فتكون في قعر البحر عبارة عن حرش صغير

اما سبب اشتهار المرجان في عالم العلم فهو راجع الى تكون كثير من الجزائر في الاوقيانوس بسبب هذا الحيوان المرجاني . ولذلك يسمونه جزائر المرجان . وطريقة ذلك ان هذا

الحيوان يتراكم بعضه على بعض ويبني بيوته المرجانية على تتابع السنوات والقرون ويستمر في هذا البناء بعضه على انقاض بعض حتى يبلغ سطح البحر فتتراكم عليه مقذوفات البحر من المواد التي يحملها ماؤه فيزداد البناء علوًا حتى يعلو الماء فيموت المرجان الذي في الوسط ولا يبقى حيًا الا المرجان الذي في الاطراف · ثم يقذف البحر اليه ما يكون قد حمله من الجذور والحجارة البركانية الخفيفة وذرات التراب فتتكون فوق البناء جزيرة صالحة التربة · فتاتي الطيور وتقع عليها وتلقي برازها فيها · والغالب انه يكون في هذا البراز حبوب من حبوب النبات والاثمار او ان بعض هذه الحبوب تصل الى تلك التربة محمولة على ماء البحر فتنبت فيها · وهكذا تصير هذه الجهة التي لم يكن فيها من قبل غير الماء الهائج المتلاطم ارضًا غناء فيها النبات والاشجار وعليها صنوف الاطيار تزقزق على نغم الامواج مسبحة الخالق الحكيم الذي هيأ لها ذلك الناموس العظيم

وهذا الحيوان المرجاني يعيش على الشواطيء ايضًا وينشيء حلقات من الصخور خارجية وداخلية مما يطول شرحه · وهو انواع منها الاسود والاحمر والابيض وغير ذلك

اما صيده فله طريقتان · الاولى ان يغوص الصياد عليه الى قعر البحر ويقتلع اشجاره منه · او ان يطرح في البحر شبكة خصوصية اذا كان القعر قريبًا ويجرها فوقه فيخرجه بها · وقد وضعنا في هذا الفصل رسم زورق يصطاد المرجان في احدى الجزر في البحر الاحمر بالطريقة الثانية

اللورد كتشنر عالم ارشيولوجي

كثيرون يجهلون ان اللورد كتشنر كان في بدء حياته عالمًا ارشيولوجيًا · وقد روى ذلك العالم الفرنسوي المسيو كليرمون كانو فقال : لم اعرف اللورد كتشنر في اثناء حرب السبعين كما ظن بعضهم لانه كان في سنة ١٨٧٠ في مدرسة وولويش العسكرية · وفي اثناء هذه الحرب لم نشعر الا وقد قدم كتشنر بغتة من هذه المدرسة وتطوع بين جنودنا في جيش شانزي لمحاربة الالمان وشهد معركة اللوار · وانما عرفتُ اللورد كتشنر في فلسطين في عام ١٨٧٤ وكان قد سافر اليها ليرسم خريطة لتلك البلاد بناءً على طلب جمعية فلسطين · وقد تصادقنا هناك واعجبتني منه بشاشته ومنظر جسمه القوي · وبعد ان رسم كتشنر خريطته صرف همه الى فحص آثار الجوامع والمعابد الاسرائيلية في فلسطين وكان مولعًا بهذا الدرس · ولما عاد الى لندن كتب اليَّ ليطلعني على كتابات قديمة وجدها في بعض المدافن

في صور و بعث اليَّ نسختها واليك كتابه فانني ما زلتُ احفظه

قال راوي هذا الخبر : لقد كان يلذ للورد كتشنر في بدء حياته ان يعيش بين خرابات اورشليم والناصرة و بيت لحم · وها هو الآن يعيش ايضاً بين خرابات مدن في الترانسفال تُدعي اورشليم والناصرة و بيت لحم · ولكن الفرق بين الخرابين ان الاول لا يد للورد كتشنر فيه واما الثاني فهو الذي احدثه

باب التقريظ والانتقاد

﴿ ملاحظة اخرى لاحد القراء على الهلال ﴾

هل تولى العرب دمشق الشام ام لا

كتب الينا من العاصمة القارىء الذي تكلم على غلاف الجزء الماضي عن رصيفنا الهلال الاديب النزيه المحترم يقول مرة ثانية

« قال حضرة عزتلو رفيق بك العظم عن علاقة العرب بدمشق الشام في الصفحة ٦٥ من كتابه « اشهر مشاهير الاسلام » الذي قرظته الجرائد العربية مانصه « والظاهر ان دمشق نفسها كانت عربية يومئذ بدليل انها كانت تحت « الحرث » الغساني احد ملوك بني غسان » فانتقد الهلال هذا الكتاب في ثلاث صفحات في الجزء السابع من اجزاء هذه السنة ولم يجد في كل بحثه مجالاً للانتقاد سوى هذه العبارة « لم نقرأ ان احداً من ملوك غسان اقام في دمشق او تولى حكومتها وانما كان حكامها من قواد الرومان » الجزء ٧ السنة ١٠ الصفحة ٢٢٥ السطر الاخير

« فيؤخذ من ذلك ان العرب لم يتولوا قط دمشق الشام

ولكن الهلال بحث في الجزء التاسع في نقود العرب قبل الاسلام فقال في الصفحة ٢٧٨ السطر ٥ (كانوا يريدون « بالحارث » ايّ ملك من ملوك عرب الشام على عهد الدولة الرومانية · وفي رواية يوسيفوس المؤرخ الاسرائيلي الشهير ان ملكاً عربياً اسمه « الحارث » عبيدة كان معاصراً للملك اسكندريانوس في القرن الاول قبل الميلاد وانه تغلب على انطيوخوس ديونسيوس ملك سوريا « وتولى دمشق »)

« وهذا كلام صريح يثبت ان العرب تولوا دمشق . فايهما نصدق : القول الاول ام القول الثاني ؟ ؟ ام اننا لا نصدق هذا ولا ذاك بل نعتبر الهلال كالمترجمين الذين ينقلون اليوم ما يكون مخالفاً لما نقلوه امس ثم انهم يزيدون ذنبهم لدى العقلاء بكتابتهم للبسطاء انهم يؤلفون لا يترجمون ... » انتهى بحروفه

نقول اما مسالة الخلاف على دمشق فربما عدنا اليها في فرصة اخرى للالمام بشيء من تاريخ تلك المدينة العظمى

﴿ الاخبار ﴾ الاخبار جريدة يومية لصاحبها جناب صديقنا الكاتب الفاضل الشيخ يوسف الخازن . وكل من اطلع على عدد من اعدادها عرف تفنن جناب صاحبها ومساعديه في تحريرها ومقدرتهم على استمالة القراء . فان فصولها ومقالاتها واخبارها مختصرة شاملة لكل موضوع ومكتوبة باسلوب رشيق يلذ للمطالعين فضلاً عن الفكاهات التي يتفكه بها قارئها . فلا ريب ان صاحب الاخبار قد سدّ بجريدته هذه فراغاً في الصحافة اليومية بالنظر الى عامة القراء في هذه البلاد ولذلك رايناهم راي العيان يُقبلون على قراءتها . فعسى ان تحلّ الاخبار في الصحافة العربية محلّ جريدة البتي جورنال في الصحافة الفرنسوية . اما قيمة اشتراك هذه الجريدة اليومية فهي ٦٠ غرشاً صاغاً فقط في القاهرة وتضاف اليها في الخارج اجرة البريد

﴿ الطب الحديث ﴾ الطب الحديث مجلة طبية لجناب منشئها الفاضل الدكتور عيد صاحب مجلة طبيب العائلة وهي مختصة بالشؤون الطبية ولذلك تهم جميع الاطباء . ومن مزاياها انه يشترك في انشائها ومراسلتها نخبة من اطباء مصر فنتمنى لرصيفتنا الانتشار فانه ليس بكثير على مصر وسوريا ان يكون فيهما مجلتان طبيتان يعول عليهما الاطباء وهما مجلة الطبيب في بيروت والطب الحديث في القاهرة

﴿ الاستقلال ﴾ وكما ان الاطباء حصلوا على مجلة جديدة فان المحامين حصلوا على واحدة ايضاً . وهي « مجلة الاستقلال » لجناب منشئها الفاضل نجيب افندي شقرا المحامي . وهذه المجلة شهرية تصدر في اربعين صفحة وقيمة اشتراكها ريال واحد ويشترك في مراسلتها نخبة من افاضل المحامين . وقد تضمن الجزء الاول منها كلام في الصحافة وخطة المجلة ومقالة في تسخير المحامين وبيان لمذاهب الاشتراكيين واخلاق الانسان وكتاب المسؤولية والغرض منه ارشاد الخاصة والعامة الى اجتناب امور شرعية تجلب لهم الضرر

﴿ جمعية الشبيبة المصرية ﴾ تالفت في العاصمة جمعية ادبية عنوانها « جمعية الشبيبة المصرية » وهي بادارة جناب رصيفنا توفيق افندي عزوز صاحب مجلة المفتاح الغراء . وقد انشأت ناديًا لمطالعة الكتب والجرائد ايضا . اكثر الله الجمعيات الادبية في هذا القطر لانها مدرسة يتعلم بها الناس التعاون والاتفاق ومبدأ الادارة

﴿ اعتذار ﴾ لدينا عدة تقاريظ اخرى ضاق عنها هذا الجزء مع اننا زدناه ٢٠ صفحة عن حجمه الاعتيادي . وقد اخرنا تقريظها لنسهب الكلام عنها لانها من الكتب التي لا يجب ان يُشار اليها اشارة فقط . وقد تاخر ايضاً تلخيص رواية ورده الفريدة في بابها فنعتذر الى القراء لاننا حرمناهم في هذا الجزء فوائد هذه الرواية

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة	ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة

اية لغة نتخذ للعلم والتعليم

﴿ الفصحى ام العامية ﴾

لم تبقَ مجلة ولا جريدة من المجلات والجرائد العربية الا وبحثت في هذا الموضوع الذي فتحت بابه رصيفتانا جريدة المؤيد وجريدة الاجبشن غازيت . ونحن نذكر باختصار لقرائنا تاريخ هذه المسالة ورأينا فيها

وضع جناب المستر ويلمور القاضي الانكليزي في محكمة الاستئناف المختلطة كتاباً انكليزياً في غاية الاهمية اقترح فيه على ابناء اللغة العربية امرين . الاول ان يتخذوا الحروف الافرنجية لكتابة الكلام العربي بدلاً من الحروف العربية وذلك لضبط اللفظ في الكلمات المتشابهة الكتابة المختلفة اللفظ . والثاني استعمال اللغة العامية في الكتابة بدلاً من اللغة

الفصحى . وحجته في هذا الطلب ان الرجل الافرنجي يصرف سنوات في درس اللغة العربية ثم هو لا يفهم اللغة التي يكتب بها كتابها اليوم ولا اللغة التي يتكلم بها قومها . وفضلاً عن ذلك فان الذين يفهمون لغة الكتابة اليوم من المصريين لا يتجاوزون ١٢ في المئة من السكان واما باقي السكان وهو ٨٨ في المائة فانهم لم يتعلموا لغة الكتابة واذا وجب ان يتعلموها ليدرسوا بها اضطروا الى صرف عدة سنوات في ممارستها . فهل من الواجب وضع هذه العقبات في طريق تعليمهم او تسهيل هذا التعليم لهم لتلقينهم الدروس بلغتهم ؟ و يقول المستر ويلمور ان هذه اللغة (العامية) لغة مستقلة عن اللغة العربية وقد جاء عليها وقت كانت فيه لغة باصول وقواعد فاذا جُمعت اصولها وقواعدها صارت لغة سهلة عمومية لجميع افراد الامة خاصتها وعامتها

ولكن الكتاب قاموا على المستر ويلمور قومة واحدة فنقضوا الراي الذي رآه واظهروا له ان اللغة العامية ليست لغة مستقلة وانما هي تشويه محلي يعتري كل لغة في العالم . وهو ما يسمونه لهجة . واللهجات متفاوتة في كل امة وكل بلد تقريباً فاية لهجة يستعملون . وهل جُنَّ ابناء اللغة العربية ليقطعوا باللغة العامية الجديدة الصلة الجميلة التي بينهم و بين اسلافهم من فلاسفة العرب ومؤلفيهم وحكمائهم وعظمائهم

على ان بعضهم يظن ان اقتراح المستر ويلمور فريد في بابه والحقيقة ان هذا الاقتراح موضوع اليوم في مجال البحث في كل بلد تقريباً . ففي كل ممالك العالم المتمدن اليوم فريقان يتنازعان في مسائل التعليم تنازعاً شديداً . وهما يُسميان الفريق القديم والفريق الجديد . فالفريق الجديد يطلب اختصار التعليم اشد اختصار وتسهيله اشد تسهيل وان يُقرن بكل ما يحتاجه المتعلم من الدروس العملية ليحصل رزقه في زحام هذه الحياة ويُنبذ منه كل ما يُثقل دماغ الطالب وذاكرته دون ان يفيده فائدة عاجلة كالاسهاب في الصرف والنحو وآداب اللغة والشعر والهندسة والجبر وغيرها . والفريق القديم يقول ان التعليم مسالة تهذيب وتثقيف لا مسالة تجارة او صناعة . والابتكار والاختراع في العلم لا ينشئان الا عن التضلع من اصول العلوم والفنون والغوص في اعماقها . ولذلك يوجب هذا الفريق درس اعصى العلوم واصعبها و يجعل درس اللغة اللاتينية الزامياً لان هذه اللغة كانت منذ قرنين لغة العلم في اوربا وبها كُتب كثير من اشهر كتب العلم والفلسفة فضلاً عن الكتب التي كتبها مؤلفو الرومان

وان قيل اي الفريقين هو المصيب قلنا ان الفريق الثاني مصيب بالنظر الى خاصة

الامة الذين يرومون الانقطاع الى العلم والفريق الاول مصيب بالنظر الى العامة وطالبي الرزق · والظاهر ان المستر ويلمور هو من هذا الفريق الذي يبغي التسهيل

ولكن المستر ويلمور لا يعلم على ما يظهر ان للتسهيل حدًّا لا يتعداه وان ما حصل في اللغة اللاتينية لا يمكن حدوثه في اللغة العربية لاختلاف النسبة بين اللغتين · فانه لما قام ديكارت وخالف العادة التي جرى عليها علماء عصره من التاليف باللغة اللاتينية وجد لغته الفرنسوية لغة صحيحة فصيحة فيها كثير من كتب الادب · وهذا ما زاد كتبه رواجًا واقبالاً وانساه سخط العلماء عليه من اجل تلك البدعة · ولكن ماذا يجد كاتب اللغة العامية اليوم اذا رام التاليف فيها · اتكفيه لغة الحمارة والنجارة للتعبير عن اشرف عواطف القلب واسمى خطرات الفكر مع انه يشكو من ضيق لغة ابن رشد نفسها

والحاصل ان المستر ويلمور قد حاول امرًا مستحيلاً · ولا خوف على لغتنا منه ومن امثاله لانهم لا يحاربون فقط اللغة العربية بهذا الاقتراح وانما يحاربون النواميس الطبيعية ايضًا · ذلك ان النواميس الطبيعية ضدهم في هذه المسالة · وان اللغة التي قتلت اللغة الارامية واليونانية في سوريا وفلسطين · واكتسحت لغة المصريين قبل الاسلام · وانتشرت أوسع انتشار في افريقيا · ودخلت في اثر السيف الى اواسط آسيا واوربا · والتي لا تزال تتغلب حتى اليوم على لغات الهند في عهد الاحتلال الانكليزي نفسه — لهي لغة نافذة كالسيف فلا تؤثر سطور كتاب انكليزي فيها

ولكن هل يؤخذ من هذا القول انه لا يجب علينا ان ننظر في كتاب المستر ويلمور نظرة اعتبار لنستفيد منه ما يمكن استفادته ؟ لا ريب عندنا ان هنالك فائدة في غاية الاهمية · وقد ضاق المجال في هذا الجزء وسناتي على ذكرها في الجزء التالي فنوجه اليها الانظار مقدمًا

﴿ المطران قسطنديوس طرزي ﴾ نعي الينا من المقام البطريركي الانطاكي للروم الارثوذكس في دمشق الشام الماسوف عليه المطران قسطنديوس طرزي · توفاه الله فجأة في ٢٦ يناير بعد سيامته مطرانًا لابرشية ارزروم ببضعة ايام · وقد كان رحمه الله يقول قبل ارتقائه الى درجة الاسقفية كما سمعنا ذلك من بعض اخصائه « يارب ارفع تاج الاسقفية على راسي ثم توفني اليك » يريد بذلك انه قانع بان يصير مطرانًا بضعة ايام ويموت · وقد تمّ له ذلك باتفاق غريب · فنحن نرفع واجبات التعزية الى مقام غبطة الحبر الجليل البطريرك الانطاكي السيد ملاتيوس المحترم ولآل الفقيد سائلين له الرحمة عداد حسناته ومبراته